اسقاط التدبير

عند ابن عجيبة

دكتـــــور

محى الدين عبد الحميد طاهر

كلية الآداب - بنها

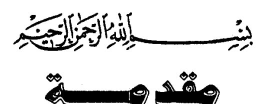
الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

رقم الايداع ٦٨٤٧ / ١٩٩٨ م

١٩٩٨م



مقدمة

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد ﷺ

وبعد

موضوع هذا البحث ، إسقاط التدبير عند ابن عجيبة ، وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية ، ذلك أن ابن عجيبة عنى بهذا الموضوع عناية كبيرة ، فنجده وقد بحث فيه من نواحيه النفسية والأخلاقية والمعرفية والوجودية ، كما أنه ربط بين إسقاط التدبير والترقى فى السلوك ، وربط ذلك بالكلام عن الارادة الإنسانية وصلتها بالإرادة الإلهية ، والمجاهدة ، والمقامات والأحوال وآداب السلوك والمعرفة والوجود .

وقد تكون هذه الفكرة مما اصطنعه غيره من الصوفية ، ولكن أهميته ابن عجيبة تظهر فى طريقة استخدام هذه الفكرة ، وفى الدور الهام الذى تلعبه فى تصوفه ، وفى النتائج التى ترتبت عليها.

ونحن نجد أن فكرة إسقاط التدبير عند ابن عجيبة ، هى أساس بناء مذهبه الصوفى كله . ولقد حاولت إلقاء الضوء من الناحية النفسية على إسقاط التدبير، من حيث صلتها بما يعانيه الصوفى من مشاعر وأحاسيس .

وعرضت أيضا لإرتباط استقاط التدبير بالجانب الأخلاقى للتصوف ، كما وضحت علاقة إسقاط التدبير بالمعرفة الإلهية ، وبينت إرتباط الوجود بإسقاط التدبير عند ابن عجيبة ، حتى أننا فى إ لنهاية نكون قد ربطنا بين إسقاط التدبير وكل مراحل سلوك الطريق الصوفى . وقد جمعت من مصادر ومراجع هذا البحث ما وسعنى ، إحساسا منى باهميته فى دراسة التصوف .

ولم يغفل البحث أيضا ، المقارنة بين آراء الصوفية ، وآراء المتكلمين من ناحية ، وآراء بعض الفلاسفة وعلماء النفس المحدثين من ناحية أخرى .

والبحث فى نفس الوقت من نوع دراسة المصطلحات الصوفية ، دراسة متعمقة ، فهو يدور حول مصطلح إسقاط التدبير ، وبيان مدى ارتباطه بالكتاب والسنة ، مع المقارنة بين معانى المصطلح فى المدارس الصوفية المختلفة .

وقد رأيت أن أدعم البحث بإيراد نصوص الصوفى نفسه ، وذلك لاستخلاص نتائجه ، وهذا يفسر لنا اشتمال البحث على كثير منها .

ويتالف البحث من مقدمة ، وخمسة عناصر أساسية وخاتمة ، فنتحدث فى المقدمة عن أهمية هذا الموضوع ، ومنهجنا فى دراسته . وجعلت العنصر الأول مخصصاً لحياة الصوفى ابن عجيبة بطريقة مختصرة .

ويأتى بعد ذلك العنصر الثانى لمعالجة الفكرة الأساسية عند ابن عجيبة وهى إسقاط التدبير ، من حيث معناها ، ونفى وجود الإرادة الإنسانية ،والإيمان بالقدر عند ابن عجيبة.

أما العنصر الثالث ، فنعالج فيه ارتباط المجاهدة وآداب السلوك بإسقاط التدبير ، وعرضت فيه للمجاهدة والرياضة العملية الروحية وصلتها بإسقاط التدبير عند ابن عجيبة، ودور فكرة إسقاط التدبير فى آداب السلوك عنده ، ومن هذه الآداب ، آداب الخضوع لحكم الوقت ، وآداب العبودية الخالصة من الأعواض ، وآداب الطلب والسؤال، وآداب التجريد والتسبب .

ويجئ بعد ذلك العنصر الرابع ، ليتناول ارتباط المقامات والأحوال بإسقاط التدبير عند ابن عجيبة ، وهذه المقامات مثل التوبة والتوكل والرضا ، أما الأحوال فهى مثل الأنس ، والقبض والبسط ، والفناء والبقاء .

وتنتهى العناصر الأساسية لهذا البحث بعنصر خامس عن ارتباط المعرفة والوجود بإسقاط التدبير ،ويتناول صلة فكرة إسقاط التدبير عند ابن عجيبة بالمعرفة الكشفية التى يصل إليها الصوفى ، فى نهاية الطريق ، ونبين فيه علاقة إسقاط التدبير بتحقق الصوفى بالمعرفة الوجدانية ، وصلة هذه الفكرة بأداة المعرفة ، ومنهجها ، وأظهرت فيه بعد ذلك علاقة هذه الفكرة بتصور ابن عجيبة للوجود ، وهو شهود الأحدية ، وهو تصور شعورى نتيجة فناء العارف فى معروفه .

وعقبت على ذلك اخيراً بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها فى هذا البحث ، لما لأثرها من قيمة فى الحياة من الناحيتين الروحية والعلمية .

تلك إلمامة موجزة باهم العناصر التى يتالف منها هذا البحث المرجعى ، الذى أتقدم به إلى اللجنة العلمية الدائمة بقسم الفلسفة .

ولعلى بذلك أكون قد قمت بجزء من الواجب كباحث ، نحو الكشف عن فكرة إسقاط التدبير عند الصوفى ابن عجيبة الحسنى.

والله الموفق

وإليه يرجع الأمر كله

دكتور

محى الدين عبد الحميد طاهر

اولا: حياة ابن عجيبة

١-اسمه ولقبه ونسبه وأسرته .

٢-مولده ونشاته فى فاس وطلبه العلم.

٣-وفاته.

٤-مكانته .

٥-مصنفاته .

أولاً: حياة ابن عجيبة

١- إسمه ولقبه ونسبه وأسرته :

ذكر بعض الذين ترجموا لابن عجيبة ، وهو يوسف إلياس سركيس ، أن إسمه "أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى" ،وأنه يلقب بأبى العباسى [١]

ويذكر خير الدين الزركلى أن اسمه "أحمد بن محمد بن المهدى ابن عجيبة الحسنى الأنجرى[٢]... [٣] وانفرد عمر رضا كحاله بذكر اسمه ونسبه بشئ من التفصيل ، فقال "أحمد بن محمد بن المهدى ابن عجيبة الحسنى الإدريسى الشاذلى الفاسى ، أبو العباس [٤] وأضاف بعضهم أنه الادريسى نسباً ، الشاذلى طريقة ، المغربى موطناً.[٥]

وذكر المترجمون له أنه من أهل المغرب [٦] ، وأنه ينسب إلى فاس ، فيقال : الفاسى[٧]

ونحن نعتقد أن ابن عجيبة كان مالكى المذهب ، فقد ذكر خير الدين الزركلى ، أن له كتباً كثيرة ، منها كتاب "أزهار البستان" بالخزانة الزيدانية بمكناس ، وهومخطوط فى طبقات أعيان المالكية .[٨] وكون أبن عجيبة إدريسى النسب ،كما يذكر المترجمون له ، يعنى أنه من اصل عربى ، وأن اصل اجداده من ألأدارسة .

أما اسرته التى نشأ فيها ، فنحن لانعرف عنها شيئاً كثيراً ، وكل مانعرفه عن والده ، أن اسمه "محمد بن المهدى بن عجية الحسنى" ، كما يدل عليه سياق اسم ابنه . وهكذا يتضح مماسبق أن ابن عجيبة ، فاسى المولد ، مغربى الموطن، عربى الأصل.

---

(١) انظر ، يوسف إلياس سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الجزء الأول ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) الأنجرى : نسبة إلى بلدة انجرة ، بين طنجة ، وتطوان .

(٣) أنظر ، خير الدين الزركلى ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، المجلد الأول ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، عام ١٩٨٦ م ، ص ٣٤٥ .

(٤) انظر ، عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون تاريخ ، المجلد الأول ، ص ٧٠ .

(٥) الإعلام ، المجلد الأول ، ص ٣٤٥ .

(٦) الإعلام ، المجلد الأول ، ص ٣٤٥ .

(٧) معجم المؤلفين ، المجلد الأول ، ص ٧٠ ، وانظر ايضاً ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، الجزء الأول ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٨) الإعلام ، المجلد الأول ، ص ٣٤٥ .

٢- مولده ونشأته فى فاس ، وطلبه العلم :

وقد ولد ابن عجيبة فى فاس ، حيث كانت تقيم اسرته بالمغرب ، وأجمع المترجمون لابن عجيبة على تحديد السنة التى ولد اثناءها :فيذكر صاحب كتاب اتحاف المطالع (مخطوط) ، أنه ولد سنة ١١٦٠هجرية ، وعنه اخذ خير الدين الزركلى تاريخ ميلاده[١] ويتفق عمر رضا كحاله مع خير الدين الزركلى فى ذكر سنة ميلاد ابن عجيبة ، وهى سنة ١١٦٠للجهرة [٢] أما يوسف إلياس سركيس ،فلم يذكر السنة التى ولد فيها ابن عجيبة. ولد ابن عجيبة إذا ، فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر للهجرة وقد تتلمذ ابن عجيبة على الشيخ احمد بن العربى الزعدى[٣]

٣- وفاته :

توفى ابن عجيبة فى ٧ من شوال سنة ١٢٢٤ للهجرة[٤] . وتحديد وفاته هذا ، أمر أجمع عليه المترجمون له ، وقد شذ عنهم فيه ،صاحب اليواقيت الثمينة ، الذى ذكر أن وفاته كانت سنة ١٢٦٦ هجرية ، ونحن نأخذ بالتاريخ الأول ، لعدم وجود ما يرجح صحة التاريخ الثانى. ويذكر خير الدين الزركلى، نقلاً عن صاحب كتاب اتحاف المطالع ، أنه دفن ببلده أنجرة ، بين طنجة وتطوان .

٤- مكانته:

ذكر المترجمون لابن عجيبة مكانته ، فمن هؤلاء ، خير الدين الزركلى ، الذى وصفه بأنه مفسر ، صوفى ، مشارك أى انه شارك فى أنواع من العلوم كالتصوف ، والتفسير والنحو والصرف ، والشروح على القصائد وغيرها[٥] وقال عنه يوسف إلياس سركيس أنه : العارف بالله ، الصوفى [٦]

---

[١] الإعلام ، المجلد الأول ، ص ٣٤٥
[٢] معجم المؤلفين ، المجلد الأول ، ص ٧٠ .
[٣] انظر ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، الجزء الأول ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، نقلاً عن اليواقيت الثمينة ، ص ٧٠ .
[٤] انظر ، الإعلام ، المجلد الأول ، ص ٣٤٥ ، ومعجم المؤلفين ، المجلد الأول ، ص ٧٠ ، وانظر ايضا ، أحمد رافع الطهطاوى ، كتبه الموجودة بالتيمورية ،الكتاب الثالث ، ص ١٩٧ .
[٥] الإعلام ، المجلد الأول ، ص ٣٤٥ .
[٦] معجم المطبوعات العربية والمعربة ، الجزء الأول ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

د- مصنفاته :

تناول المترجمون لابن عجيبة مصنفاته ، وأثبت كل واحد ما وصل إلى علمه منـــها، وليس ثمه ثبت واحد من تلك التى اوردها هؤلاء المترجمون يمكن ان يعتبر كاملاً .

وقد حاولت ان أجمع وأقارن بين ما ذكره هؤلاء المترجمون جميعاً ، وفيما يلى ثبـت بهذه المصنفات .

١-البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد،مخطوط فى أربعة مجلدات، وبدأ بطبعه،وصـــدر جزء منه.

٢-أزهار البستان فى طبقات الأعيان (مخطوط) بالخزانة الزيدانية بمكناس ، لم يتمه ابـــن عجيبة ، وهو يترجم فيه لطبقات الأعيان المالكية ، ومنه مخطوط فى خزانة الرباط، رقم (٢٨٦ك) ، مصورة فى معهد المخطوطات رقم (١٣٥٢ تاريخ).

٣-شرح القصيدة المنفرجة (مخطوط).

٤- شرح صلوات ابن مشيس (مخطوط).

٥-تبصره الطائفة الزرقاوية على الفئة العثمانية (مخطوط) .

ويذكر يوسف الياس سركيس أنه وقف على المصنفات السالفة الذكر ، وقد فرغ مـــن تبيضها ابن عجيبة ، مابين عامى ١٢٠٠ - ١٢١٠ للهجرة .

٦-الفتوحات القدوسية فى شرح المقدمة الأجرومية (مطبوع) ، وقد جمع فيـــه بيـــن النحو والصرف .

٧-فهرست اشياخة (مطبوع).

٨-الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ، لابـــن البنـــا السرقســـطى ، فـــى التصوف (مطبوع) ، وطبع فى القاهرة ، عام ١٣٢٤هـــــ١٩٠٦م ، بمطبعـــة مدرسة والدة عباس الأول ، وطبع مرة اخرى بالقاهرة ، بمطبعة عالم الفكـــر ، سنة ١٩٨٣م ، وفرغ من تأليفة عام ١٢١١هـــ.

٩-إيقاظ الهمم فى شرح الحكم ، وهو شرح على حكم ابن عطاء الله السكندرى ، فى التصوف (مطبوع) ، وقد طبع فى القاهرة ســـنة ١٣٢٤هـــ١٩٠٦م بمطبعـــة

مدرسة والدة عباس الأول ، واعيد طبعة مرة أخـــرى ســنة ١٩٨٢م بمطبعــة مصطفى البابى الحلبى فى القاهرة .

ولمزيد من التفصيل حول ترجمة ابن عجيبة الحسنى ، قارن : دليل مؤرخ المغـوب، الطبعة الثانية ، الجـــزء الأول ، ص ٢٤٦ ، وانظــر أيضـــا : المخطوطـــات المصورة ، التاريخ ، القسم الرابع ، ص ٢٥ .

وانظر كذلك ، شجرة النور الذكية ، ص ٤٠٠ .

ثانياً : الفكرة الأساسية
عند ابن عجيبة

إسقاط التدبير

١-تمهيد.

٢-معنى إسقاط التدبير.

٣-نفى وجود الإرادة الإنسانية والإيمان بالقدر.

ثانياً
الفكرة الأساسية عند ابن عجيبة
إسقاط التدبير

١- تمهيد :

أتخذ ابن عجيبة لنفسه فكرة اساسية منذ البداية ، وهى أن الإنسان لا تدبير له ولا اختيار ولا إرادة ، بالقياس إلى إرادة الله التى تدبر الكون كله ، بما فيه الإنسان .

وقد تكون هذه الفكرة مما اصطنعه غيره من الصوفية فيقول حمدون القصار (المتوفى عام ٢٧١هـ) عندما قال له رجل اوصنى "إن استطعت أن تصبح مفوضاً، لا مدبراً ، فافعل"[١]

ويقول ابوسعيد بن ابى الخير (المتوفى عام ٤٤٠هـ) حول هذا المعنى "التدبير تديمر" ، ,التدبير عمل الجهلاء ، وليست هناك آفة اكبر من التدبير ، ولقد قيل : أطلبوا الله بترككم التدبير ، فإن التدبير فى هذا الطريق تزوير"[٢]

أما عبد القادر الجيلانى (المتوفى عام ٥٦١هـ)، فإنه يقول للسالك "علامة فنائك عن ارادتك ، بفعل الله – أنك لا تريد مراداً قط ،ولا يكون لك غرض ، ولايبقى لك حاجة ولا مرام ، فإنك لا تريد مع ارادة الله سواها ، بل يجرى فعل الله فيك ، فتكون أنت عند ارادة الله وفعله ، ساكن الجوارح ، مطمئن الجنان ، منشرح الصدر ، منور الوجه ، عامر البطن ، غنيًا عن الأشياء بخالقها ، تقلبك يد القدرة ، ويدعوك لسان الآزل"[٣]

ولكن أهمية ابن عجيبة تظهر فى طريقة استخدام هذه الفكرة ، وفى الدور الهام الذى تلعبه فى تصوفه ، وفى النتائج التى ترتيب عليها .

---

[١] ابو عبد الرحمن السلمى ، طبقات الصوفية، مطابع الشعب ، القاهرة ، عام ١٣٨٠هـ ، ص ٤٣ .
[٢] محمد بن المنور بن أبى سعيد ، اسرار التوحيد ، الهيئة المصرية ، العامة للكتاب ، القاهرة ، بدون تاريخ .
[٣] عبد القادر الجيلانى ، فتوح الغيب ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٠١٣ , ص ٣٥٥ .

ونحن واجدون أن فكرة اسقاط التدبير عند ابن عجيبة ، هى أســـاس بنـــاء مذهبـــة الصوفى كله فالمر، يد الذى يجاهد نفسه ، يجب أن يكون مسقطا لارادته وتدبيره ، فـــلا ينسب أعماله وطاعاته وعباداته إلى تدبيره واختيـــاره وارادتـــه ، لأن هـــذه الأعمـــال والطاعات والعبادات بتوفيق من الله تعالى .

والمجاهدة عند ابن عجيبة ، ليست الا مجهوداً سلبياً يبذله السالك ، لأنها لا توصـــل بالضرورة إلى المعرفة الإلهية ، ولذلك نجده يفسح مجالاً للقول بالجذب ، وهـــو طريـــق الصوفى الذى يصل إلى المعرفة الإلهية عن طريق "العنايـــة الإلهيـــة" ، دون ان يعـــانى المريد أى أعمال شاقة أثناء المجاهدة والترقى فى المقامات والأحوال .

حتى ان آداب السلوك ، التى ينبغى أن يلتزم السالك بها أمام الله تعالى ، تدور حـــول إسقاط السالك لتدبيره واختياره وإرادته مع الله ، وذلك لسبق تقدير الله منـــذ الأزل ، ولأن الإرادة الإلهية تحيط بكل دقائقة ، فلا مجال لتدبيره أثناء سلوكه ، ولذا نجد أن جميع آداب السلوك عنده ، كآداب الطلب ، والتجريد ، والتسبب ، وغيرها ، تنتهى بالسالك إلى نتيجة واحدة ، هى إسقاط التدبير والاختيار والارادة مع الله .

وجميع ما يتكلم عنه ابن عجيبة ، من المقامات ، كالتوبة والزهد والصـــبر والشـــكر والخوف والرجاء والتوكل والرضا والمحبة ، نجده قائما على اسقاط التدبير .

وفى الأحوال ايضاً ، لاتصح إلا إذا كان المتحقق بها مسقطاً لتدبيره واختياره ،وهـذه الأحوال هى القبض والبسط ، والأنس ، والفناء والبقاء وما إليها . فكل هذه الأحـوال ، لا تدبير للسالك فيها مع الله ، لأنها واردة عليه منه .

وبعد أن يصل السالك الى المعرفة بالله ، نجد أن هذه المعرفة الإلهيـــة ، ينبغـــى أن يكون السالك فيها متحققاً بإسقاط التدبير والاختيار مع الله .

وخلاصة القول : فإننا نجد أن نقطة البداية فى سلوك الطريق الصوفـــى عنـــد ابـــن عجيبة ، هى إسقاط السالك لتدبيره واختياره وارادته ، كما نجد أيضاً أن جميـــع مراحـــل طريق السالك إلى الله ، قائمة على اساس هذه الفكرة.

٢ـ معنى إسقاط التدبير

التدبير هو النظر فى عاقبة الأمور ، أو التفكر فيماستؤول إليه مستقبلاً . [١] والإنسان **من حيث هو كائن ، لا ارادة له بالقياس الى ارادة الله ، أى ليس له قدرة على اخضاع** عاقبة الأمور لتدبيره وإرادته ، أو توجيه مجرى الحوادث فوق مشيئته ، لأن هذا من شأن الله تعالى ، مدبر الأشياء وخالقها .

يصطنع ابن عجيبة لنفسه منذ البداية أساساً للتفرقة بين ثلاثة أقسام من التدبير ، فهو هناك التدبير المذموم وهو التدبير الذى يصحبه التصميم والجزم ، سواء كان هذا التدبير فى أمور الدنيا أو فى أمور الدين ، لأن صاحبة يتعجل التعب لنفسه ، بالإضافة إلى أن ذلك يكون سوء أدب مع الله ، وحول هذا المعنى يقول ابن عجيبة : "التدبير على ثلاثة أقسام ، قسم مذموم ، وقسم مطلوب ، وقسم مباح ، فأما القسم المذموم ، فهو الذى يصحبه الجزم والتصميم ، سواء كان دينيا أو دنيوياً ، لما فيه من قله الآدب ، وما يتعجله لنفسه من التعب "[٢]

ويرى ابن عجيبة أن هذا التدبير منافى للعبودية ، لأن الله تعالى دبر الأشياء فى سابق علمه ، والإنسان عاجز عن القيام به ، واشتغالك به تضييع وفضول ، ولعل أكثر ما يقدره الانسان من تدبير أمور دنياه لا يقع ، فيخيب ظنه ، فهو يقول فى هذا المعنى "وغالب ما تدبره لنفسك لا تساعده رياح الأقدار ، وتعقبه الهموم والأكدار "[٣]

---

[١] التدبير لغة : النظر فيما تؤول إليه عاقبة الأمور فى المستقبل ؛ انظر مختار الصحاح مادة دبر.
ودبرت الأمر تدبيرا : فعلته عن فكر وروية ، وتدبرته تدبرا ، نظرت فى دبره ،وهو عاقبته ، انظر المصباح المنير ، مادة دبر . والتدبير كما فى القاموس المحيط : النظر فى عاقبة الأمر ، انظر القاموس المحيط ، مادة دبر . وفى كشاف اصطلاحات الفنون : التدبير لغة : التصرف أو التفكر فى عاقبة الأمور انظر ، محمد على الفاروقى التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٦٣ ، جـ٢ ، ص ٢٥٤ .
= أما فى اصطلاح الصوفية ، فإن الصوفى أحمد زروق يعرف التدبير بإنه يقدير شئون يكون عليها فى المستقبل مما يخاف أو يرجى ، بالحكم لا بالتفويض ، فإذا كان بالتفويض فليس بتدبير ... ، فإذا مقابل التدبير : التفويض ، وهو النظر لما يبديه الحق من غير تفصيل ولا حكم ، أنظر ، أحمد زروق ، كرة العين فى شرح الحكم ، منشورات المكتبة العصرية – صيدا – لبنان عام ١٩٧٣م ، جـ١ ، ص٦١ .

[٢] انظر : ابن عجيبة الحسنى ، إيقاظ الهمم فى شرح الحكم ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٢٠ .

[٣] ايقاظ الهمم ، ص ٢٠ .

فالعبد ليس له مع الله سبحانه وتعالى إرادة ولا اختيار (وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، سبحان الله وتعالى عما يشركون" [١] ، فمن أدعى أن له إرادة واختيـــارا مع الله تعالى حقيقة ، فهو مشرك مدع للربوبية بلسان حالة ، وإن تبرأ من ذلك بمقالــه ، لأن ماالله تعالى ، لاينبغى أن يكون للعبد ، وقد قال (ما كان لهم الخيرة) ، ولايخفى أن كل من شهد له إرادة واختيارا ، ليس له من نسبتهما إليه سوى الإسم [٢]

أما القسم المباح من التدبير ، فهو التدبير بالله ، وهو التدبير فى أمر دنيـــوى ، مـــع التفويض للإرادة الإلهية ، وهذا هو أيضاً تدبير الإنسان لأمور معاشه على وجـــه ســـهل يستعين به على مطلوبه ، وهذا لابأس به ، يقول ابن عجيبة حول هذا المعنى من التدبير : "وأما القسم المباح ، فهو التدبير فى أمر دنيوى أو طبيعى ، مـــع التفويـــض للمشـــيئة ، والنظر لمايبرز من القدرة"[٣]

ومما يدل على أن هذا التدبير بالله ، أن السالك يترك تدبيره واختياره وإرادته لتدبـــير الله واختياره وإرادته ، حتى إذا ظهر من القدرة الإلهية عكس ما اراده الإنســـان ، فإنـــه لايضطرب ولاينقبض ، ويسلم كل أموره إلى الله ، وإلى هذا المعنى يقول عبد الوهـــاب الشعرانى لمريده :"أعلم أنه ليس من الأدب (أريد أن لا أريد) ، كما يقع ذلك لكثـــير مـــن الفقراء (يقصد الصوفية مثل أبى يزيد البسطامى) ، لأن هذا إرادة ، بل الأدب أن يقـــول (أى : العبد) ، (أريد ما تريد) ، هذا هو الذى تعطيه حقيقة الإنسان ، فكما أراده الشـــرع يريده ، فيتصف بالإرادة لما أرادة الشرع خاصة ،فلا يبقى له غرض فى مراد معيـن لأن يبيع مختارات الشرع وترتيباته ، ليس فيها اختيار ، لاندراج إرادة العبد فى-إرادته"[٤]

ويذهب ابن عجيبة إلى أن التدبير المطلوب ، هو تدبير ما كلف الإنسان به شـــرعًا ، وهو الواجبات الشرعية والأوامر والنواهى ، أو ماندب الإنسان إليه من الطاعات ، مـــع تفويض الإرادة الإلهية ، لان الطاعات لا يضر الإنسان تدبيرها ، ولأن أحداً لا يســـتطيع القيام بها عن العبد ، وقد وكلك الله بالقيام بهذه الطاعات والعبادات الشـــرعية ، فإمـــهال

---

[١] **سورة القصص آيه ٦٨ .**

[٢] عبد الوهاب الشعرانى، الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية ، مفصل على الطبقات الكبرى للشعرانى، مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ ، جـ٢ ، ص ١٠٧ .

[٣] ايقاظ الهمم ، ص ٢١ .

[٤] انظر الانوار القدسية فى بيان آداب العبودية ، حـ٢ ، ص ١٠٩ .

فهو تدبير ما كلفت به من الواجبات ، وما ندبت إليه من الطاعات ، مع تفويض المشيئة ، والنظر إلى القدرة"[١]

ومن ثم يتبين أن ابن عجيبة لا يذم تدبير الدنيا ، والاشتغال بأمر الـــرزق ، مـــادام المدبر فيها موافقاً لمراد الله من ناحية ،وغير موافق لحظوظ نفسه ، من ناحية اخرى.

ولكن ابن عجيبة ، مع أنه لا يذم تدبير الإنسان للدنيا ، والاشتغال بأمر الـرزق ، إلا أنه يحذر السالك من تعلق همه بشأن الدنيا والرزق ، فيقوده إشغال فكره بما ضمن لـــه ، إلى تقصيره فيما طلب منه ، "فيجتهد فى طلب ما هو مضمون من الـــرزق المقســوم ، ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم"[٢]

وخلاصة القول أن الاجتهاد فيما تكفل الله للعبد به ، وهو الـــرزق ، مذمــوم ، لأن المضمون وهو الرزق ، تفضلاً من الله تعالى ، يقول تعالى :"وكأين من دابـــه لاتحمــل رزقها ، الله يرزقها وإياكم"[٣]

أما طلب الرزق من غير اجتهاد ، فلا بأس به للمريد ، ولا يـــدل علـــى انطمـــاس البصيرة ، يعنى أن ، المريد إذا اجتهد فى طلب الرزق الحلال من غـــير تقصـــير فـــى العبادات والطاعات ، فذلك غير مذموم ، وهذا ما يشير إليه ابن عباد الرندى بقوله" تفريغ القلب عن الأمر المضمون له (أى : للعبد)[٤]

ولكن ابن عجيبة يعود إلى تحذير السالك مما يمكن أن يفهم من إسقاط التدبير ، وهـو أن يترك الإنسان العمل ، اعتماداً على سبق تقدير الرزق فى الأزل ، فإن الله لــم يـأمر بذلك ، وإنما يأمر الإنسان بالعمل ، ويعده بالجزاء عليه ، وفى هذا يوجه الخطاب ، قـائلاً للسالك : "لما أخبر الله سبحانه فى كتبه ، على ألسنة رسله أن المدار إنما هو على السابقة فمن سبقت له العناية ، لا تضره الجناية ، تشوف الخلق كلهم إلى ظهور سر هذه العناية ، فكل واحد يظن أن من أهلها ، فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك السر إنما هو للبعـــض دون البعض فقال" (يختص برحمته من يشاء)[٥] ، فاسندها إلى مشيئته دون مشيئتهم ، فعلمـــوا

---

[١] ايقاظ الهمم ، ص ٢١ .
[٢] ايقاظ الهمم ، ص ٢٣ .
[٣] سورة العنكبوت ، آيه ٦٠ .
[٤] ابن عباد الرندى ، غيث المواهب العلية ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، عام ١٢٧٨ هـ ، ص ٧.
[٥] ايقاظ الهمم ، ص ٣٠٦ .

أن ذلك إنما هو للبعض دون الكل ، لأن كل واحد يطمع أنه من ذلك البعـــض ، فربمـــا يتركون العمل ، ويعتمدون على سابق الأزل ، فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك الســـر لـــه علامات تدل على من هو من أهله ، ومختص به ، فقال : (إن رحمـــة الله قريـــب مـــن المحسنين).... [١]

والحاصل أن سر العناية إنما يظهر على المحسنين المتقنين لأعمالهم ، المخلصين فى عبودية ربهم ، فمن استند إلى الحكم السابق ، وترك العمل ، فهو مغـــرور أو مطـــرود لأبطاله الحكمة ، ومن استند إلى العمل دون النظر للقدرة والمشئية السابقة فهو جـــاهل ، بعيد عن الله تعالى ، غافل ، ومن جمع بينهما فهو محقق كامل .

وخلاص القول ، إن اسقاط التدبير عند ابن عجيبة لا يعنى أن يعيش الســـالك عالـــة على غيره ، فيكون عضواً فاسداً فى المجتمع ، وإنما إسقاط التدبير معناه أن يعيش السالك آمنا مطمئناً متجنباً جميع دواعى الخوف والقلق والهم والحزن ، ومتحرراً من العبوديـــة للخلق والذل إليهم ، فيحياً حياة المجتمع والناس ، غاية ما فى الأمر أن يكون موافقا لمراد الله ، ومخالفا لحظوظ نفسه ، وغير متطلع إلى الاستكثار من أسباب الدنيا افتخاراً ، فـــهذا من أشد ما يفسد عليه حياة التعبد ، ويقطعه عن الوصول إلى المعرفة بالله .

وبهذا يضفى أبن عجيبة على فكرته فى إسقاط التدبير معنى ســـامياً ، فـــهو يجعـــل السالك حراً أمام الناس ، ومتحققا بالهدوء النفسى ، بحيث لا يكون هناك ثمة تعارض بين حياة التعبد ، وحياة المجتمع الذى يعيش فيه .

٣-نفى وجود الإرادة الإنسانية ، والإيمان بالقدر :

الفكرة الأساسية عند أبن عجيبة كما بينا ، أن الإنسان لا تدبير لـــه ولا اختيـــار ولا إرادة إلى جانب تدبير الله واختياره وإرادته .

ولهذا يتصور ابن عجيبة الإنسان على أنه لا يختار الا باختيـــار الله ، ولا يريـــد إلا بإرادة الله ، ولا يفعل إلا بفعل الله ، كما يقرر أن جميع الأفعال الإنســـانية مخلوقـــة لله ، سواء فى ذلك خيرها وشرها.

---

[١] إيقاظ الهمم ، ص ٣٠٧ .

ويتفق موقف ابن عجيبة بصدد مشكلة الأفعال الإنسانية اتفاقاً تاماً مع مذهب أهل السنة الذين قرروا أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله ، وذلك بما فيها من خير وشر ، و أن **الإستطاعة من الله تعالى ، تحدث للعبد مقارنة للفعل ، لا متقدمة على الفعل ولا متأخرة** عنه : فقد أرتأى أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد كلها ، خيراً كانت أو شراً ، مخلوقة لله تعالى [١]

كما يتفق موقف أبن عجيبة فى هذا الصدد ، مع موقف عبد الوهاب الشعرانى ، يقول الشعرانى : "أعلم أنه ليس من الاختيار المذموم، الاختيار الذى هو ملازم للفعل ، لأن ذلك من لازم العبودية ، إذ لا يصح امتثال الأمر واجتناب النهى ، إلا بعد توجه القلب للفعل أو الترك ، فلا يتصور لنا فعل من غير اختيار ، إلا فى المكره ، وحركة المرتعش"[٢]

وإذا كان موقف ابن عجيبة يتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة ، وفهو يتعارض مع موقف المعتزلة الذين أثبتوا وجود قدرة وإرادة للإنسان ، ويذكر لنا الشهرستانى عقيدة واصل بن عطاء فى أن الإنسان هو الفاعل للخير والشر بقدرته ، قائلاً :"إن البارى تعالى حكيم عادل ، لا يجوز أن يريد ، من العباد خلاف ما يأمر ، ويحكم عليهم شيئاً ثم يجازيهم عليه ، فالعبد هو الفاعل للخير والشر ، والإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله"[٣]

وكذلك يتعارض موقف أبن عجيبة بصدد الأفعال ، فالشهرستانى مثلاً يرى أن الجبر هو نفى الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى [٤] ويتضح أنكار ابن عجيبة لوجود فعل حقيقى للإنسان ، من قوله للسالك "الغافل نفسه موجودة ، وآماله ممدودة ، إذا أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه ، فيدبر شئونه ومآربه بعقله وحواسه ، فهو ناظر لفعله معتمد على حوله وقوته"[٥]

ويستطرد ابن عجيبة الحديث حول هذا المعنى بقوله:"وأما العاقل ، فقد تحققت فى قلبه عظمة ربه ، وانجمع إليه بكلية قلبه ، فأشرقت فى قلبه شموس العرفان ، وطوى من

---

(١) أبو المعين النسفى ، بحر الكلام ، بمجموعة الرسائل ، مطبعة كردستان ، عام ١٩١١م ، ص ٤٠ .
(٢) الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية ، جـ٢ ، ص ١٠٩ .
(٣) الشهرستانى ، الملل والنحل ، القاهرة عام ١٩٦١م ، جـ١ ، ص ٤٧ .
(٤) الممل والنحل ، جـ١ ، ص ٨٥ ، وانظر ايضاً الدكتور أبو الوفا التفتازانى ، علم الكلام وبعض مشكلاته ، مكتبة القاهرة الحديث، القاهرة ، عام ١٩٦٦م ص ١٤٤ .
(٥) ايقاظ الهمم ، ص ٢١٤ .

نظره وجود الأكوان ، فليس له عن نفسه أخبار ، ولا مع غير الله قرار ، تصرفه بـــالله ، ومنا لله ، وإلى الله ، فقد فنى عن نفسه ،وبقى بربه ، فلم ير لها تركا ولا فعلا ، ولا قـــوة ولا حولا ، **فإذا أصبح ، نظر ماذا يفعل الله**"[١]

ويذهب ابن عجيبة إلى أن العبد مجبور ، لكن فى قالب الأختيار ، فهو يقـــول "مـــن نظر إلى الباطن ووجد الله ، وجد كل شئ قائما بالله ، ولا فاعل سواه ، ومن نظـــر إلـــى ظاهر العبد ، وجد له اختيارا فى الجملة ، يقوم إذا شاء ، ويجلس إذا شاء ، ويفعل ويترك باختياره فى الظاهر ، وعلى هذا وقع التكليف وهو الشـــريعة ، ويســـمى الكســـب عنـــد المتكلمين ، فالتحقيق أن العبد مجبور ، لكن فى قالب الاختيار".[٢]

كما تبين فكرة ابن عجيبة فى أن الطاعة فضل من الله ، وهى منسوبة إلى الله نســـبة حقيقية ، وإلى الإنسان نسبة اعتبارية ، من قوله للسالك :"هيأك لأنواع الطاعات ، وخلـــق فيك القوة على فعل الخيرات ، ثم نسب إليك ذلك الفعل "[٣]

أما فكرة ابن عجيبة فى أن الطاعات وهى محاسن الأفعال ، فضـــل مـــن الله ، وأن المعاصى وهى مساوئ الأفعال ، عدل من الله ، فتظهر فى قوله :"العبد ليس له مع الحـــق اختيار ولا قدرة على نفع ولا إضحار ، فإن صرفه سيدة فيما يرضى ، فلظـــهور إســـمه الكريم ، وإن صرفة فيما لا يرضى ، فلتصريف إسمه الحكيم"[٤]

والقول بأن افعال الإنسان خيرها وشرها مخلوقة لله عند ابن عجيبة ، يترتب عليـــه الإيمان بالقدر ، وبوجود خالق ، خلق الأشياء ودبرها منذ الأزل بمقتضى علمه ، وهـــذا الخالق مطلق التدبير والاختيار والإرادة ، وتشمل إرادته كل ما فى الوجـــود ، بحيـــث لا يخرج عن قدرته مقدور ، ولهذا يوضح ابن عجيبة للمريد أن كل اوقاته وأعماله وأحوالـــه فى سلوكه ، هى أحكام الله ، اقتضتها مشيئته ، وكل منها قدر من أقداره ، وفى هذا يقـول " القدر هو العلم السابق للأشياء قبل أن تظهر ، وهو علم اوقاتها وأماكنها ومقاديرها وعدد أفرادها ، وما يعرض لها من الكيفيات ، وما ينزل بها من الآفات ، فـــإذا علمـــت أيـــها

---

(١) أيقاظ الهمم ، ص ٢١٥ .
(٢) انظر ، ابن عجيبة الحسنى ، الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، عام ١٩٨٣م ، ص ٣٢٧ .
(٣) انظر ، ايقاظ الهمم ، ص ٢٣٠ .
(٤) ايقاظ الهمم ، ص ٤٨١ .

الإنسان أن انفاسك قد عمها القدر ، ولا يصدر منك ولا من غيرك إلا ما سبق به علمــه ، وجرى به قلمه ، لزمك أن ترضى بكل ما يجرى به القضاء"[١]

ولما كان الإنسان خاضعا تماما لقدر فيما يرى ابن عجيبة ، فإنه مهما أوتى من علــو الهمة والإرادة ، فلن يستطيع أن ينفذ من أسوار القدر المحيطة به ، وإلى ذلــك الإشـــارة بقوله"إذا اهتم العارف أو المريد بشئ ، وقويت همته بذلك ، فإن الله تعالى يكـــون ذلــك بقدرته فى ساعة واحدة ، حتى يكون أمره بأمر الله"[٢]

وخلاصة القول ، إن همة العارف تتوجه للشئ ، فإن وجدت القضاء سبق به ، كـــان ذلك بإذن الله ، وإن وجدت سور القدر مضروبا ، لاتخرقه، بل تتـــأدب معـــه وترجـــع لوصفها ، وهو العبودية .

---

[١] ايقاظ الهمم ، ص ٦٩ .
[٢] ايقاظ الهمم ، ص ١٩ .

ثالثا

ارتباط المجاهدة وآداب السلوك بإسقاط التدبير

أ-المجاهدة والرياضة وإسقاط التدبير.

ب-آداب السلوك وإسقاط التدبير.

١-آداب التجريد والتسبب .

٢-آداب الخضوع لحكم الوقت.

٣-آداب العبادة الخالصة من الأعواض.

٤-آداب الطلب والسؤال.

ثالثا: ارتباط المجاهدة وآداب السلوك بإسقاط التدبير

أ- المجاهدة والرياضة وإسقاط التدبير :

هل يختار الإنسان فعلا أعمال مجاهداته ورياضاته الأخلاقية والنفسية بإرادته ؟

إن هذا يجعلنا ننتقل إلى الحديث عن كيفية التوفيق بين أعمال المجاهدات والرياضات التى يمارسها الصوفى بإرادته واختياره ، وإسقاط التدبير .

وهذا الموضوع له ارتباط وثيق بالجانبين النفسى والأخلاقى للتصوف ، وفيما يلى بيان ذلك:

لو اخذنا مجاهدة النفس اخلاقيا ، بالتخلى عن الأخلاق المذمومة ، والتحلى بأضدادها من الأخلاق المحمودة ، لوجدنا أنها تقتضى من المريد استخدام الإرادة بداية ، مع تفويض الأمر إلى الله ، وإسقاط التدبير مع الله فى نفس الوقت .

فكان استخدام الإرادة البشرية ، مرحلة اولى ، يليها إسقاط التدبير والاختيار ، والسالك يعانى أثناء ذلك ، الصراع النفسى ، والاضطراب والقلق ، فمثلا ،إذا تخلى عن الكبر وتحلى بالتواضع ، فإنه يستخدم إرادته ، حتى إذا ثبت له التواضع ، فإنه يكون قد استقر نفسيا ، فيترك إرادته وتدبيره لأرادة الله وتدبيره ، يدلنا على ذلك قول القشيرى لمريده : "إستوف أحكام الرياضات البشرية ، حتى لايبقى للآثار البشرية شئ ، وتسلم النفس والقلب لله ، فلا يكون معارض ولا منازع منك ، لا بالترقى ، ولا بالتلقى ، لابالتدبير ولا بالاختيار بحال من الأحوال ، تجرى عليك صروفه كما يريد ، وتكون محوا عن الاختيارات"[1]

فالفعل الإرادى ، يكون أولا بوقف الاستمرار فى التخلق بالأخلاق السيئة ، ومحاولة التحلى بالأخلاق الفاضلة، أى أن السالك : إذا شعر برغبة فى نفسه إلى الكبر مثلا فإنه يعانى الحيرة والصراع النفسى بين أمرين ، الرغبة فى الكبر ، ومواصلة التواضع ، فإذا

---

[1] عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، لطائف الإشارات ، القاهرة ، عام ١٩٧٠م ، جـ١ ، ص ١٧٣ .

فكر فى الأمر ، تبين لهأن الاستمرار فى التواضع أوفق له ، وهـــو أمـــر تدعـــوه إليـــه الشريعة، وحينئذ يرفض الكبر ، ويصمم على التواضع ، فالعزم على التواضع بعد التفكير والاختيار فعل إرادى ، وهنا تكون إرادته موافقة لارادة الله.

فإذا كنا مع ابن عجيبة ، وجدنا أنه يطبق فكرته فى إسقاط الارادة والتدبير فى مجـال مجاهدة النفس ، ويخرج من هذا التطبيق برأى يقرر فيه أن مجاهدة السالك لنفسه ، ليست علة حقيقية فى قهر نفسه ، وذلك لأنها مظهر إرادته ، فإرادته وهمية ، لاتتصف بالوجود الحقيقى ، وإنما العلة الحقيقية فى رأيه ، هى إرادة الله المدبره لكل شئ فى الوجود ، يقول إبن عجيبة :"إذا أراد الله عناية عبده ونصره ، أمد قلبه بجنود الأنوار ، وقطع عنه مـــن جهة النفس مدد الأغيار ، فيستولى النور على الظلمة ، وتولى النفس منهزمة"[1]

ويبين أبن عجيبة بعد هذا ، أن الوصول إلى الله ليس بمحو أخلاق الإنسان المذمومـة بطريق مجاهدته لنفسه ، لأنه لو كان كذلك ، لكان مستندا إلـــى إرادة الســـالك ، وليـس للإنسان إرادة على التحقيق ، إنما الوصول إلى الله مستندا إلى إرادة الله وتدبيره ، فإرادته هى المدبرة لكل شئ ، بحيث لو أراد الله أن يوصل السالك إليه ، وصله بمحض عنايتـــه وفضله ، يقول ابن عجيبة لمريده "وصلك حينئذ بما منه إليك من الإحســـان واللطــف ، والامتنان ، لا بما منك إليه من المجاهدة والطاعة"[2] وهو يقول أيضا "يحصل الوصول ، ويبلغ المأمول بما من الله إلى العبد من سابق العناية والوداد ، لا بما من العبد إلى الله من الكد والاجتهاد"[3]

وفى رياضة الذكر ، يبين ابن عجيبة لنا، كيف يكون حال المجذوبين والسالكين فـــى الذكر ، فالمجذوبون تسبق أنوارهم أذكارهم ، فهى غير معلولة بالأذكـــار ، وإنمـــا هـــى محض فضل من الله ، يقول ابن عجيبة حول هذا المعنى "القوم الذيـــن تســـبق انوارهـــم أذكارهم هم الواصلون"[4]

---

(1) ايقاظ الهمم ، ص ١١٢ .
(2) ايقاظ الهمم ، ص ٢٤٣ .
(3) ايقاظ الهمم ، ص ٢٤٢.
(4) ايقاظ الهمم ، ص ٤٢٩ .

وخلاصة القول ، إن ابن عجيبة لن يغير من فكرته التى اتخذها اساسا لبناء مذهبه ، وهى أن الإنسان مدبر ، منذ الأذل ، وخاضع للقدر ، ولا يمكن أن يكون له تدبير أو إرادة بالمعنى الحقيقى لكلمة تدبير .

ب ـ آداب السلوك ، وإسقاط التدبير :

آداب السلوك عند الصوفية ، هى القواعد العامة التى ينبغى أن يلتزمها السالك فى جميع مراحل سلوكه على اختلافها.[١]

ويعنى ابن عجيبة بتوضيح آداب السلوك ، وأهم ما يعرضه منها ، آداب التجريد والتسبب ، والخضوع لحكم الوقت ، والطلب والسؤال ، وغيرها.

١ـ آداب التجريد والتسبب:

يعنى التجريد عند ابن عجيبة ، إفراد القلب والقالب لله ، وهو يقسم التجريد إلى : تجريد الظاهر ،وتجريد الباطن ، فتجريد الظاهر هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله ، أو هو ترك الأسباب ، أما تجريد الباطن ، فهو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله ، أو هو تجريد القلب من كل وصف ذميم ، بكل وصف كريم"[٢]

أما التسبب ، فيعنى أن يكون السالك للطريق مشتغلا بأسباب الدنيا ، وبأمر الرزق. ومن آداب الإنسان المتسبب ، فيما يرى أبن عجيبة إقامته فيما أقامه الحق تعالى فيه من فعل الأسباب ، حتى يكون الحق تعالى هو الذى ينقله منها"[٣] ، فإذا أراد الخروج بنفسه ، ولم يصبر حتى يؤذن له ، فحينئذ يكون ذلك سوء أدب مع الله .

وكذلك يكون الانسان المتجرد ، إذا أراد الرجوع إلى الأسباب من غير إذن صريح ، فهو انحطاط من الهمة العلية إلى الهمة الدنية"[٤]

وسواء كان السالك للطريق متجردا أم متسببا ، فإن أدبه فى رأى ابن عجيبة إسقاط التدبير والاختيار والإرادة مع الله .

---

[١] ابو الوفا التفتازانى (الدكتور) ، ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة عام ١٩٥٨ ، ص ١٧١ .

[٢] ايقاظ الهمم ، ص ١٦ .

[٣] إيقاظ الهمم ، ص ١٦ .

[٤] إيقاظ الهمم ، ص ١٦ .

٢- آداب الخضوع لحكم الوقت :

الخضوع لحكم الوقت ، هو خضوع السالك لما يقيمه الله فيه من الأحوال السيكولوجية على اختلافها خضوعا تاما ، فلا يحاول الانتقال من حال إلى حال .

والخضوع لحكم الوقت عند الصوفية ، من أهم آداب السلوك إلى الله ،وهنا نجدهم يستخدمون الوقت بمعناه النفسى ، وهو الحالة النفسية التى يكون المريد عليها ، ولا إرادة له فيها ، وهم لهذا يقولون : الصوفى ابن وقته ، أو فى حكم وقته ، يعنون بذلك أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار ، ويشير القشيرى إلى ذلك المعنى للوقت بقوله: "ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لأنفسهم"[١]

وينبه أبو بكر الواسطى (المتوفى عام ٣٢٠هـ) ، السالك ، أن يسكن تحت قضاء الله وقدره ، وبذلك يكون خاضعا لحكم وقته ، بقوله : "اختيار ما جرى لك فى الأزل ، خير من معارضة الوقت"[٢]

ويتضمن هذا المعنى للخضوع لحكم الوقت عندهم ، إسقاط الاختيار والإرادة بالنسبة للأعمال التى يكون فيها موضع جريان الحكم الكونى ، كما يتضمن عندهم أيضا اسقاط التدبير فى عواقب الأمور فى المستقبل.

وقد حرص الصوفية ألا يتعارض كلامهم فى الوقت مع الشريعة ، فلم يروا إسقاط التدبير والاختيار والإرادة بالنسبة للأعمال الشرعية ، مما فيه أمر ونهى ، لما فى ذلك من إبطال للتكليف الشرعى ، وإنما قصروا ذلك على الأحوال السيكولوجية ، كالقبض والبسط والحب والخوف والأنس ، وحول ذلك يقول القشيرى : "يقولون (أى : الصوفية) ، فلان بحكم الوقت ، أى أن مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له ، وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر ، أو اقتضاء بحق شرع ، إذ التضييع لما أمرت به ، وإحالة الأمر فيه على التقدير ، وترك المبالاه بما يحصل منك من التقصير ، خروج عن الدين"[٣]

ويقول السهروردى البغدادى فى نفس المعنى "وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه ، فيتصرف فيه فيكون بحكمه"[٤]

---

[١] عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، الرسالة القشيرية ، القاهرة ، عام ١٩٥٩م ، ص ٣٤ .
[٢] الرسالة القشيرية ، ص ١٣١ .
[٣] الرسالة القشيرية ، ص ٣٤ .
[٤] السهروردى البغدادى : عوارف المعارف ، القاهرة ، عام ١٩٥٦م ، جـ٤ ، ص ٤٠٢ .

ويتعمق ابن عجيبة فى تحليل معنى الخضوع لحكم الوقت ، فينصح السالك للطريق الصوفى بأن يكون خاضعا على الدوام لحكم وقته ، ويحذره من أن يحدث بإرادته فى وقته وأحواله غير ما أراده الله له ، لأن فى ذلك منازعة لله تعالى ، واسنادا إلى إرادة السالك ، وفى هذا المعنى يقول ابن عجيبة : "من آداب العارف الحقيقى ، أن يقر الأشياء فى محلها ، ويسير معها على سيرها ، فكلما أبرزته للعيان ، فهو فى غاية الكمال والأتقان"[١]

ومن ثم يتبين مع ابن عجيبة أن الخضوع لحكم الوقت من أهم آداب السلوك الى الله ، وأنه قائم على أساس من إسقاط التدبير والاختيار ، لأن السالك إذا كان خاضعا لحكم وقته، فمعنى هذا أنه لا تدبير له مع الله".

ويبالغ ابن عجيبة فى إلزام السالك بإسقاط التدبير ، حين يمنعه من التوجيه إلى الله ، طالبا منه إخراجه من حالة إلى أخرى ،فالأدب أن يترك السالك انتقاله ، إلى إرادة الله ، وفى هذا المعنى يقول :"من آداب العارف ، الاكتفاء بعلم الله ، والاستغناء به عما سواه، فإذا أقامه الله تعالى فى حالة من الأحوال ، فلا يستحقرها ويطلب الخروج منها إلى حالة أخرى ، فلو أراد الحق تعالى أن يخرجه من تلك الحالة ، ويستعمله فيما سواها ، لإستعمله من غير منه يطلب من أن يخرجه ، بل يمكث على ما أقامه فيه الحق تعالى ، حتى يكون هو الذى يتولى إخراجه ، كما تولى إدخاله"[٢]

٣- آداب العبادة الخالصة من الأعواض :

يعتبر ابن عجيبة ان عبادات السالك وطاعاته ، إذا كانت طمعا فى نيل الأعواض والحظوظ الدنيوية، كانت غير خالصة : فالصوفى الصادق ليس كذلك ، فهو لا يرجو من وراء عباداته وطاعاته شيئا من حظوظ نفسه ، وإنما يعبد الله قياما بحق أوصافه من اللطف والمحبة والعناية ، وفى هذا يقول:"من عبد الله تعالى لشئ يرجوه منه فى الدنيا، أو

---

[١] إيقاظ الهمم ، ص ٦٠ .
[٢] إيقاظ الهمم ، ص ٦٣ .

فى الأخرة ، أو ليدفع عنه بطاعته ورود العقوبة فى الدنيا أو فى الآخرة ، فما قام بحق اوصاف الربوبية التى هى العظمة والكبرياء والعزة والغنى ، وجميع أوصاف الكمال"[١]

ثم نجد ابن عجيبة يعمق فكرته عن العبادة الخالصة ، ويربطها بمذهبه فـــى إســـقاط التدبير والاختيار ، فيقرر أن السالك لايصح أن يطلب فى مقابل عمل من الأعمال جزاء ، او عوضا ، لأنه ليس له فعل ولااختيار ، وإنما الفاعل الحقيقى هو الله ،وهو خالق أفعـــال العباد جميعا ، وعلى ذلك كيف يطلب السالك جزاء على عمل ليس هو فاعله ؟ ولا مدخل له فيه ؟ يقول إبن عجيبة : إن العبد مجبور فى قالب مختار ، وليس له فعل ولااختيـــار ، وإنما الفاعل هو الواحد القهار"[٢]

وهو يقول كذلك "فإذا تقرر هذا ، فكيف يطلب العبد الأجر على عمل ليس هو فاعله، وعلى تقدير نسبته إليه .؟ فالجزاء متوقف على القبول ، فمن اين تدرى : هل يكون مقبولا أم لا؟ وإذا تفضل عليك بالقبول على ما هو عليه من النقص والخلل ، فهذا يكفيـــك فـــى جزائك على العمل"[٣]

ويبين ابن عجيبة كذلك للسالك أن الأعمال التى يقوم بها من الطاعات والعبـــادات ، تكون هدية من الله إليه ، فكيف يطلب فى مقابلها عوضا ؟ وهل يطلب عاقل ، مقابلا لشئ أهدى إليه؟ يقول لمريده : "لا نسبة لك فى العمل إلا ظهوره عليك ، فكيف تطلب العـوض على عمل هو متسبق به عليك ؟ وإذا من عليك بصدق العبودية (وهو سر الإخـــلاص) ، فكيف تطلب الجزاء على صدق هو مهدية إليك؟"[٤]

وهكذا نتبين مع أبن عجيبة ، أن عبادة السالك لله ، ينبغى أن تكـــون خالصـــة مـــن حظوظ النفس ، ويتبرأ فيها السالك من حوله وقوته ، على أساس من إيمانه العميق بإسقاط التدبير والاخيتار والإرادة مع الله ، وإيمانه التام بأن الإنسان ليس خالقا لافعاله .

---

[١] إيقاظ الهمم ، ص ١٨١ .
[٢] إيقاظ الهمم ، ص ٢٢٨ .
[٣] أيقاظ الهمم ، ص ٢٢٨ .
[٤] إيقاظ الهمم ،ص ٤٢٩ .

٤ ـ آداب الطلب أو السؤال :

الطلب أو سؤال المريد للخلق ، مذموم عند ابن عجيبة ، أما الطلب أو السؤال من الله تعالى فهو محمود ، بشرط أن يظهر المريد فاقته إلى الله ، فإذا كان الأمر كذلك ، فإن الله يعطيه بإرادته وتدبيره ، يقول ابن عجيبة فى هذا المعنى "إذا أراد (الله) ان ينجز للعبد ما سبق له ، فتح له فيه باب الطلب ، فإذا حصل منه الطلب ، حصل ذلك الذى قسم له فى الأزل ، إظهارا لحكمته وإخفاء لقدرته ، وتغطية لسره"[١]

وهو يقول كذلك لمريده :"متى أطلق لسانك ايها المريد بالطلب لشئ تجلى فى قلبك أو احتجت إليه ، فاعلم أن الحق تعالى أراد أن يعطيك ماطلبت منه ، فلاتحرص ولاتستعجل، فكل شئ عنده بمقدار "[٢]

والأدب فى الطلب أو السؤال فيما يرى أبن عجيبة هو ان يرضى السالك بحكم الله تعالى ، ويعتمد على ما اختاره الله له دون ما اختاره لنفسه ، وحول هذا المعنى يقول للسالك :" حسن الأدب هنا هو اكتفاؤك بعلمه ، ورضاك بحكمه ، واعتمادك على ما اختاره لك دون مااخترته لنفسك"[٣]

ويرى أبن عجيبة أن قد يغلب على السالك وراد الطلب من الله تعلى ، فيطلب السالك من الله تعالى ، ثم قد يتأخر عنه وقت العطاء ، فعلى السالك ألا ييأس ، فإن الله هو الذى يحدد وقت اجابة الطلب ، يقول ابن عجيبة فى هذا المعنى :"وإن غلب عليك وارد الطلب وطلبت شيئا ثم تأخر عنك وقت العطاء فيه ، فلا تتهم الله فى وعده ، حيث قال "(ادعونى استجب لكم)[٤] ولا تياس من نواله ورفده ، فإن الله قد ضمن لك الإجابة فيما يريد من خير الدنيا وخير الآخرة ، وقد يمنعه ، لطفا بك ، فيكون ذلك المطلب لا يليق بك"[٥]

هذا عن السالك للطريق ، أما العارف فيما يرى ابن عجيبة فهو من أهل الفناء ، والغالب على العارف السكون والخضوع للأقدار ، فإن الطلب منهم قليل ، واستمع الى ابن عجيبة وهو يقول فى هذا المعنى : "الغالب على العارفين وأهل الفناء، السكوت

---

[١] إيقاظ الهمم ، ص ١٩٦ .
[٢] أيقاظ الهمم، ص ٢٠٦ .
[٣] ايقاظ الهمم ، ص ٢٠٦ .
[٤] سورة غافر آيه ٦٠ .
[٥] ايقاظ الهمم ، ص ٢٤ .

والسكون تحت مجارى الأقدار ، فصدور الطلب منهم قليل ، لأن العارف فان عن نفسه ، غائب عن حسه ، ليس له عن نفسه أخبار ، ولامع غير الله قرار ، فـــلا يتصـــور منـــه سؤال"[١]

ويوجه ابن عجيبة النصح لمريده عن آداب الطلب أو السؤال فـــى عبـــارة عميقـــة الدلالة، فهو يقول له :"ينبغى أن يكون (الطلب) عبودية ، لا سببا فى العطاء ، إذ قد سبقت قسمتك فى الأزل قبل أن يكون منك طلب ، فعنايته سابقة"[٢]

فإذا تحقق السالك بالإيمان بسبق تدبير الله له منذ الأزل ، فإنه ينبغى أن يسقط تدبيره وإرادته مع الله ، فالمشيئة والإرادة شئ واحد ، وإليهما تستند الأشياء كلـــها ، والمشـــيئة تسبق كل شئ ، فلا تتوقف على طلب أو سؤال ، فما شاء الله كان ، من غير ســـبب ولا سؤال ، وما لم يشأ ربنا لم يكن .

---

[١] إيقاظ الهمم ،ص ٣٠٩ .
[٢] إيقاظ الهمم ، ص ٣٠٨ .

رابعا
ارتباط المقامات والأحوال بإسقاط التدبير

أ- تمهيد

ب-المقامات.

١-مقام التوبة.

٢-مقام التوكل.

٣-مقام الرضا.

جـ-المقامات وإسقاط التدبير.

د-الأحوال:

١-واردات الأحوال

٢-الأنس .

٣-القبض والبسط.

٤- الفناء والبقاء

هـ-الأحوال وإسقاط التدبير.

رابعا : إرتباط المقامات والأحوال بإسقاط التدبير

أ. تمهيد:

الترقى فى المقامات والأحوال عند ابن عجيبة هى المرحلة التى ينتهى السالك منها إلى المعرفة بالله ، معرفة يقينية ذوقية . ويتدرج السالك فى مقامات السلوك مجاهدا نفسه، حتى يستوفى جميع المقامات ، وهذه المقامات ، هى مظاهر ما يتحقق به السالك من استقرار نفسى أثناء سلوكه.

وقد تواضع الصوفية على أن السالك لايمكن ان يتحقق فى مقام إلا إذا كان مشتغلا بالمجاهدة والرياضة له ،وهو يكون كسبا بإرادة العبد ، يقول القشيرى :"المقام : ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف ،فمقام كل واحد ، موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشتغل بالرياضة له"[١]

أما الأحوال ، فهى ما يعرض للسالك دون كسب منه ، وقد عرفه القاشانى بأنه "ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل واجتلاب ، كحزن أو خوف أو بسط أو قبض أو شوق أو ذوق ، يزول بظهور صفات النفس"[٢]

مما سبق يتضح أن الأحوال عند الصوفية مردودة إلى الفضل الإلهى ، فيقول ذو النون المصرى شعرا :لله أنفاس جرت لله ∴ لله لا حول لى فيها بغير الله "[٣] وقد تواضع الصوفية على أن الأحوال لا تدبير للسالك فيها ولااختيار ولا إرادة ، حتى أن الصوفى أحمد زروق ينصح مريديه قائلا لهم :"فلزم ملاحظة الحميع، (أى : جميع الأحوال) باتباع السنة ، وشهود المنه ، والنظر لأحكام القدر ، مع إثبات الشريعة والأسباب ، ومن ثم لزم إسقاط التدبير عند غلية المقادير"[٤]

---

[١] الرسالة القشيرية ، ص ٣٢ .

[٢] القاشانى (كمال الدين عبد الرازق) ، اصطلاحات الصوفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة عام ١٩٨١م ، ص ٥٧ .

[٣] الطوسى (ابو نصر السراج) اللمع فى التصوف ، القاهرة ، عام ١٩٦٠م ، ص ٣١٨ .

[٤] احمد رزوق الفاسى ، قواعد التصوف ، القاهرة عام ١٩٦٨م ، ص ١٣٣.

وإذا كان صوفية الإسلام قد تواضعوا على أن الأحوال مواهب ن والمقامات مكاسب، فإن ابن عجيبة يخالفهم فى هذا الرأى ، فهو يرى أن المقامات والأحوال كلها مواهـــب ، يقول ابن عجيبة : "قالوا :(أى الصوفية) ، الأحوال مواهب ، لأنها موهبة من الله ، جزاء على الأعمال ، والمقامات مكاسب ، لأن التمكين منها مكتسب بـــدوام الأعمـــال ، وفـــى التحقيق : كلها مواهب"[١]

ويعترض الدكتور أبوالعلا عفيفى :على رأى ابن عجيبة قلائلا :"وقـــد يكـــون مـــن المبالغة اعتبارها كلها من المواهب الإلهية (أى المقامات) التى لا دخل لأعمال العبد فيها، فإن هذا يذهب بقيمة المجاهدات والرياضات جملة ، كما أن من المبالغة أن نذهب إلى أنها كلها من اكساب العبد ، فنسد الطريق على العناية الإلهية التى يختص بها الله من يشـــاء، والحل الوسط الذى ذهب إليه القشيرى هو أفضل الحلول ، فهى (أى : المقامات) كســـبية فى بداية أمرها ، وهبية فى نهايتها"[٢]

مما سبق يتضح أن ابن عجيبة يطبق فكرته فى إسقاط التدبير والاختيار والإرادة فـــى مجال المقامات ، فلا يراها كسبا بإرادة السالك ، لأنها لو كانت بكسبه ،لكان للإنسان إرادة ينسب إليها فعل من الأفعال نسبة حقيقية ، وهذا ما يخالف مذهبه فى نفى وجـــود الإرادة الإنسانية ، والإيمان بأن الله خالق أفعال الإنسان.

ب ـ المقامات :

١ـمقام التوبة :

التوبة عند ابن عجيبة وعند غيره من الصوفية ، هى : الرجوع عـــن المعـــاصى ، بتركها ، والإعراض عنها[٣]

ومن أهم ما يعين السالك على التحقق بمقام التوبة عند أبن عجيبة ، الإيمـــان بـــأن إرادة الله مطلقة ومحيطة بكل شئ ، بحيث لا يخرج عنها مقدور ، ولو آمن السالك بهذا ، لم ييأس قط من الخروج عما هو فيه من الشهوات والغفلات والمعـــاصى بـــهذه الإرادة

---

[١] ابن عجيبة الحسنى ، الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة عام١٩٨٣ م ، ص ١٦٥ .

[٢] انظر ، ابو العلا عفيفى (الدكتور) ، التصوف الثورة الروحية فى الإسلام ، دار المعارف القاهرة ، عام ١٩٦٣م ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

[٣] جامع الإصول ، ص ٣٣٤ .

الإلهية، ولهذا يقول ابن عجيبة :"لاشك أن الحق تعالى لا يعجزه شئ ، هو الغالب على أمره ، عبادة بيده ، يصرفها كيف شاء ، ويقلبها حيث شاء ، فمن كان منهمكا فى الغفلة ، مستغرقا فى بحار الشهوة ، فلا يستغرب أن ينقذه الله من غفلته ، وأن يخرجه من وجود شهوته ، فإن ذلك قدح فى إيمانه ، وكيف يستغرب ذلك، وربنا تعالى يقول:("وكان الله على كل شئ مقتدرا")[١] ، وأنت من ذلك الشئ"[٢]

والمتحقق بمقام التوبة عند أبن عجيبة ، لابد له من أن يكون متحققا بإسقاط التدبير والإرادة ، فالتائب كما ينبغى عليه أن يتوب عن الذنوب على اختلافها ، يجب عليه أن يتوب عن التدبير والاختيار ، لأنهما أقبح هذه الذنوب"[٣]

ولما كان معنى التوبة ، الرجوع الى الله تعالى من كل مالا يرضاه للسالك ، وكان التدبير لايرضاه الله له ، لأنه شرك بالربوبية المنفردة بالتدبير ، ولما كان الله لا يرضى لعبادة الشرك أو الكفر ، كان لابد من رجوع السالك عن التدبير .

ولا يصح أن يتوب سالك عن ذنوبه ، ويتوهم أنه متحقق بمقام التوبة ، وبقايا التدبير لا تزال كامنة فى نفسه ، لأنه فى هذه الحالة غافل كل الغفلة عن الإيمان بحسن رعاية الله، وسبق تدبيره له منذ الأزل ، فيما يرى استاذنا الدكتور التفتازانى[٤]

٢-مقام التوكل:

التوكل عن ابن عجيبة عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ، يقول ابن عجيبة حول هذا المعنى:" "إن ثبت فى نفسك ، بكشف أو اعتقاد جازم ، أنه لافاعل إلا الله ، واعتقدت مع ذلك تمام العلم القدرة على كفاية العباد ، ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العبادة ، وأنه ليس وراء قدرته قدرة ، ولاوراء منتهى علمه علم ،ولا وراء منتهى

---

[١] سورة الكهف ، آيه ٤٥ .

[٢] إيقاظ الهمم ، ص ٣٤٢ .

[٣] التوبة عند الصوفية : اصلها فى البدايات : الرجوع عن المعاصى بتركها والإعراض عنها ، وفى الأبواب : ترك الفضول القولية والفعلية المباحة وتجريد النفس عن هيآت الميل إليها ، وبقايا النزوع إلى الشهوات الشاغلة عن التوجه الى الحق ، وفى المعاملات : الإعراض عن رؤية فعل الغير ، والاجتناب عن الدواعى وأحوال النفس برؤية أفعال الحق ، وفى الأخلاق : التوبة عن الرذائل النفسية ، وعن إرادته (أى : السالك) وحوله وقوته ، انظر ، جامع الأصول ، ص ٣٣٤ .

[٤] أبو الوفا التفتازانى الدكتور : ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه ،مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، عام ١٩٥٨م ، ص ١٩٧ .

عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة ، اتكل لا محاله قلبك عليه وحده ، ولم يلتفت إلى غيره بوجه ، ولا إلى نفسه وحوله وقوته ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإن الحول عبارة عن القدرة"[١]

ويقسم ابن عجيبة التوكل من حيث القوة والضعف ثلاث درجات :

الأولى : أن يكون حال المتوكل ، الثقة بكفالة الله وعناية له .

الثانية : ان يكون حالة السالك مع الله تعالى ، كحال الطفل مع أمه فلا يلتفت إلا إلى المتوكل عليه.

الثالثة : أن يكون بين يدى الله تعالى ، مثل الميت بين يدى الغاسل ، تحركه القدره الأزليه.[٢]

ويتعمق ابن عجيبة فى تحليل هذه الدرجات الثلاث للتوكل[٣] ، فهو يرى أن الدرجة الأولى ، صاحبها متوكل بالتكلف والكسب ، وليس فانيا عن توكله . أما الدرجة الثانية ، فصاحبها قد فنى فى توكله عن توكله ، إذ ليس يلتفت فيه إلى التوكل [٤] وحقيقته بل إلى المتوكل عليه فقط ، فلا مجال قلبه لغير المتوكل عليه .

وأما الدرجة الثالثة ، فيكون صاحبها كالمبهوت ، تحركه القدرة الأزلية .[٥]

وقد يسأل سائل ، هل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب فى هذه الدرجات ؟ ويجيب أن أبن عجيبة قائلا للسالك :"أعلم ان المقام الثالث : ينفى التدبير راسا ، ما دامت الحالة باقية، بل يكون صاحبها كالمبهوت ، والمقام الثانى : ينفى كل تدبير – من الآن – حيث الفزع إلى الله ، لكن بالدعاء والابتهال "[٦] ويستطرد ابن عجيبة قائلا :

---

(١) الفتوحات الإلهية ، ص ٢٣٦ .

(٢) قارن ،الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ، ص ٢٣٦ .

(٣) الفتوحات الإلهية ، ص ٢٣٧ .

(٤) يذهب الكمشخانوى إلى إن صورة التوكل فى البدايات ، ترك الأفعال العادية الصادرة من الهوى بالتزام الأفعال المأمور بها ، وفي الأبواب : اعتقاد كون الحول والقوة على الفعل بالله ، وفى المعاملات : كلة الأمر إلى مؤكلة والتعويل على وكالته وفى الاخلاق : الحياء من التولى ؛ ان الامر كله لله ، فليس له من الأمر شئ حتى يكله إليه ..... ، وفي الأصول : الاتكال فى القصد والعزم على توفيقة ، و الاعتماد عليه في سيره وتسليكه ، وفى الأدوية : الإنسلاخ عن عقلة ، والتعويل على علمه تعالى وفضلة ؛ لتحقق أن الله متولى أمره ، وفى الحقائق : شهود مالكتية تعالى وقادريته ، وعجز الكل عن قيامه بعبوديته ، لأصالة عدميته ، وفى النهايات : القيام بالله فى كل شئ لا بنفسه ، انظر ، جامع الأصول ، ص ٣٤٤ .

(٥) قارن ، الفتوحات الإلهية ، ص ٢٣٦ .

(٦) الفتوحات الإلهية ، ص ٢٣٧ .

"والمقام الأول لا ينفى أصل التدبير والاختيار ، ولكن ينفـــى بعـض التدبـيرات ، كالتوكل على وكيله فى الخصومة ، فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ، ولكن لايترك التدبير الذى اشار إليه وكيله به ، أو التدبير الذى عرفه من عادته وسنته "[1]

وخلاصة القول ، إن ابن عجيبة يطبق فكرته الأساسية وهى إسقاط التدبير فى مقـــام التوكل ، فالسالك اثناء توكله ، تحركه القدرة والعناية الأزلية ، فليس له مع الله فى توكلـه تدبيرا واختيار أو إرادة .

٣ـ مقام الرضا :

حقيقة الرضا عند ابن عجيبة هو تلقى المهالك بوجه ضاحك ، كما أن حقيقة التســليم هو استواء النقمة والنعمة ، بحيث لا يختار (السالك فى ايهما يقيم).[2]

والحاصل ان ابن عجيبة لا يجعل الرضا بكسب العبد وتدبيره واختياره ، وإنما يجعل مرده فى النهاية إلى العناية الإلهية ، فهو يقول للسالك :" إذا علمـــت أيـــها الإنســـان أن انفاسك قد عمها القدر ،ولا يصدر منك ولا من غيرك إلا ما سبق به علمه ، وجرى بـــه قلمه، لزمك أن ترضى بكل ما يجرى به القضاء"[3]

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن ابن عجيبة يطبق فكرته فى إسقاط التدبـــير والاختيـــار والإرادة فى مقام الرضا ، والتف+ويض التام لارادة الله ، فالرضا يورث الســـكينة فـــى القلب ، والإطمئنان إلى أحكام القضاء الإلهى .

جـ - المقامات وإسقاط التدبير :

وضحنا فيما سبق ، بعض المقامات التى يتدرج فيها السالك للطريق ، وهى التوبـــة والتوكل والرضا ، وأظهرنا أن كل مقام منها ، لا يصح إلا بإسقاط التدبـــير والاختيـــار والإرادة .

والحق أن محاولة ابن عجيبة إرساء جميع المقامات على إسقاط التدبير والاختيـــار ، محاولة لا تخلو من تصنع ظاهر ، إذا أن ترقى السالك فى مقاماته ، لا يمكن أن يتفق مع

---

[1] الفتوحات الإلهية ، ص ٢٣٧ .
[2] إيقاظ الهمم ، ص ٧٠ .
[3] أيقاظ الهمم ، ص ٦٩.

إسقاط التبدير والاختيار والإرادة ، وذلك لأن ترقى السالك فى المقامات ،هو عملى إرادى يقوم به السالك .

خذ التوبة مثلا ، التى هى رجوع العبد عن الشهوات والمعاصى ، نجدها عملا تتجلى فيه وظيفة الإرادة بوضوح ، فكيف يتوب السالك عن تدبيره لنفسه فى التوبة؟ إنه فى هذه الحالة يسقط تدبيره وإرادته للتوبة ، وهذه نتيجة غريبة !! .

وإذا كان الصوفية قد تواضعوا على أن المقام هو ما يكون بكسب العبد ، وذكروا أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، وأن المقامات تحصل ببذل المجهود ، فإن ابن عجيبة لا يتفق معهم على أن المقامات تحصل للسالك بكسبه ، إذ لو سلم بذلك ، لسلم بأن للإرادة الإنسانية وجودا حقيقيا ، وأن لها مدخلا فى تحقق السالك بالمقامات ، وهو ما يتعارض مع فكرته فى إسقاط التدبير ، ولهذا رأينا أن ابن عجيبة أدخل فكرة العناية الإلهية فى المقامات بحيث يشعر الباحث أن ابن عجيبة لا يريد أن يجعل المقامات مكاسب بمجهود الانسان وإرادته ، بل إنه اراد أن يجعلها مواهب من الله وفضلا منه .

وإذا كانت المقامات فيما يرى أبن عجيبة تحصل عن طريق العناية الإلهية وبتدبير الله تعالى ، ففيم إذن مجاهدة السالك لنفسه ، بإلزامها التوكل ، والتوبة ،والرضا ، وغير ذلك من مقامات الطريق الصوفى ؟

والنتيجة التى توصلنا إليها هنا ،هى أن ابن عجيبة يريد أن يمضى مع فكرته فى إسقاط التدبير إلى نهاية الطريق ، فهو قد جعل المقامات ، التى هى فى رأينا ، مظهر حقيقى لإرادة السالك ، مردودة فى النهاية إلى العناية الإلهية .

وبهذا يكون الإنسان ، بلا فعل أو كسب ، ويظهر بوضوح أن مذهب ابن عجيبة ، مذهب جبرى ، لا يسلم بوجود تدبير أو اختيار ، أو إرادة حقيقية للإنسان .

د ـ الأحوال :

بعد ان تبينا كيف يتدرج السالك فى مقاماته ، مسقطا إرادته وتدبيره عند إبن عجيبة ، وكيف يتحقق فى حياته الصوفية بما تقتضيه هذه المقامات من قواعد الأخلاق التى ترمى إلى أن يعيش السالك فى وفاق تام مع الإرادة الإلهية والقدر ، ننتقل إلى الحديث عن الأحوال الواردة على السالك ، ونوضح كذلك ، كيف يكون السالك بلا تدبير او اختيار أو

إرادة ، من حيث أن ما يرد عليه من أحوال ، لا إرادة له فيها ، لوروده بمحض إرادة الله وفضله.

١ـ واردات الأحوال :

يذهب ابن عجيبة إلى أن الوارد نور إلهى يقذفه الله فى قلب من احب من عبـــادة[١] ويقسم ابن عجيبة الواردات الإلهية إلى ثلاثة اقسام على حسب الواردات الإلهية إلى ثلاثة اقسام على حسب البداية والوسط والنهاية[٢]

القسم الأول : وارد الانتباه ، وهو نور يخرجك (أى : المريد) من ظلمة الغفلة الــــى نور اليقظة ، وهو لآهل البداية من الطالبين.[٣]

أما الوارد الثانى عند ابن عجيبة ، فهو الذى يحرك قلب السالك إلى الذكر ، فلا يزال مشتغلا بذكر الله تعالى حتى يضنى عما سوى الله تعالى ، يقول ابن عجيبة "أمـــا القســم الثانى : فهو وارد الإقبال ، وهو نور يقذفه الله فى قلب عبده ، فيحركه لذكـــر مـــولاه ، ويغيبه عما سواه ، فلا يزال مشتغلا بذكره ، غائبا عما سوى المذكور[٤]

ويتحدث ابن عجيبة عن القسم الثالث من الواردات ، وهو وارد الوصـــــال ، الـــذى يستولى على ظاهر السالك وباطنه ،ويفنيه عن شهود نفسه وحسه ، وحول هـــذا المعنـــى يقول ابن عجيبة :"وارد الوصال : وهو نور يستولى على قلب العبد ،ثم يســـتولى علـــى ظاهره وباطنه ، فيخرجه (يخرج السالك) من سجن نفسه ، ويغيب عن شهود حسه.[٥]

والواردات فيما يرى ابن عجيبة ، أنوار تحمل القلوب الى الله تعالى، فوارد الانتباه ، ووارد الإقبال يحمل القلوب إلى الله تعالى عن طريق السلوك ، وهو يـــرى أن الســلوك هداية من الله إلى السالك ، فالله هو الذى يهدى السالك إلى اليقظـــة والذكـــر ، والانتبـــاه والاقبال ،والفناء عن النفس والعالم ، والبقاء بالله تعالى ، عن طريق الذكر والهداية .

---

[١] أيقاظ الهمم ، ص ١١٠ .
[٢] ايقاظ الهمم ، ص ١١٠ .
[٣] ايقاظ الهمم ، ص ١١٠ .
[٤] ايقاظ الهمم ،ص ١١٠ .
[٥] إيقاظ الهمم ،ص ١١٠ .

أما وارد الوصال ، فهو الذى يحمل القلب إلى الله تعالى عن طريق الجذب والعناية ، يقول ابن عجيبة "وارد الانتباه والإقبال حمله سلوك ، ووارد الوصـــال حملــه جــذب ، والسلوك هداية، والجذب عناية"[١]

مما سبق يتضح كيف طيف ابن عجيبة فكرته فــى إســقاط التدبــير علــى واردات الأحوال ، عن طريق الهداية ، والعناية الإلهية ، وهذا ما يتبين من قوله :"قل ما تكـــون هذه الواردات الإلهية إلا بغته ، لأنها لاتنال باكتساب ، وإنما هى فتح من الكريم الوهاب ، ولو كانت تنال بجد واجتهاد ، لإدعاها العباد والزهاد بوجوب التأهب والاستعداد ، فتصير حينئذ مكاسب"[٢]

٢ ـ الأنس :

الأنس بالله من الأحوال التى يهبها الله للسالك ، وهو عند ابن عجيبة وعند غيره مــن الصوفية ، الاسترواح بروح القرب[٣]

ولن يتحقق السالك بحال الأنس إلا بالانقطاع عن الخلق ، وحول هذا المعنى يقـــول ابن عجيبة "إذا اراد (الله) أن يؤنس عبده بذكره ، ويتحفه بمعرفته ، أوحشه من خلقـــه ، وشغله بخدمته ، فألهمه ذكره ، حتى إذا امتلأ قلبه بالأنوار ، وتمكن من حلاوة الشـــهود والاستبصار ، رده إليهم ، رحمة لهم "[٤]

فإذا تحقق السالك بالأنس بذكر الله ، واراد الله تعالى أن يؤنسه به ، فإنه يعزل السالك عن الخلق بقلبه ، وحينئذ يؤنسه بمعرفة الله ايضا ، يقول ابن عجيبة لمريده :"متى أوحشك ايها الفقير من خلقه ، وعزلك عنهم فى قلبك ، فاعلم أنه تعـــالى أراد أن يؤنســك بـــه ، ويفنيك بمعرفته "[٥]

---

(١) ايقاظ الهمم ، ص ١١٢ .
(٢) ايقاظ الهمم ، ص ١٤٢ .
(٣) انظر ، جامع الأصول ، ص ٣٥٠ .
(٤) ايقاظ الهمم ، ص ١٩٥ .
(٥) ايقاظ الهمم ، ص ١٩٥ .

حتى إذا عزل الله السالك عن الخلق بقلبه ، فإنه يملأ قلبه بأنوار شهود الله تعـــالى ، يقول ابن عجيبة ، مخاطبا الحق تعالى قائلا :" أنت الذى أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك، فملأتها بأنوار شهودك "[١]

وحينئذ يأتى دور الخلوة ، فإذا انس الله السالك بذكره وشهوده ، فإنه يستوحش مـــن العالم والخلق ، ويستأنس بصانعها والمتجلى فيها وهو الله تعالى فى الخلوات ، واســـتمع الى ابن عجيبة وهو يناجى الله قائلا : أنت المؤنس لهم (أى : للسالكين) بحـــلاوة ذكـــرك وشهود نورك ، حيث أوحشتهم العوالم ، فلم يستأنسوا بشئ منها ، بل استوحشوا منها مـن حيث كونيتها ، واستأنسوا بصانعها والمتجلى فيها ، فأبدلهم الله الأنس به فى الخلوات"[٢]

وخلاصة القول ، فمادام الله هو الذى يفتح باب الانس به للسالك ، فمعنى هذا أن حال الأنس يكون بمحض عناية الله وفضله ، وليس لإرادة السالك مدخل فى تحققه به ، وهكـذا يطبق ابن عجيبة فكرته فى إسقاط التدبير ، وفى العناية الإلهية على حال الأنس بالله .

٣ ـ القبض والبسط:

يعرف ابن عجيبة البسط بأنه "فرح يعترى القلوب أو الأرواح ، إما بسبب قرب شهود الحبيب ، أو شهود جماله ، أو بكشف الحجاب عن اوصاف كماله ، وتجلى ذاته لـــهم ، أو بغير سبب"[٣]

أما القبض فيما يرى ابن عجيبة فهو " حزن وضيق يعترى القلب ، إما بسبب فـــوات مرغوب ، أو عدم حصول مطلوب ، أو بغير سبب "[٤] .

ويصف لنا ابن عجيبة ، السالك ، بأنه تاره يكون فى حالة القبض ، وتـــارة أخـــرى يكون فى حال البسط ، لا يملك لنفسه منهما شيئاً ، فهو بلا إرادة أو تدبير ، وكيف يكـــون له فيهما إرادة أو تدبير ، وهما حالان واردان عليه بمحض إرادة الله ؟

---

(١) ايقاظ الهمم ، ص ٥١٤ .
(٢) **ايقاظ الهمم ، ص ٥١٤ .**
(٣) إيقاظ الهمم ، ص ١٦٠ . ويرى ابن عجيبة ان حد إدارك القلب تعشقه وتوجهه إلى خالقه بترك الاغيار وطلب الانوار ،انطلق من العقال فى طلب الكمال ، ولكنه من وراء الحجاب ، لم يفتح له الباب، وأما الروح فحد علمها وإدراكها مواجهه أنوار الملكوت ، طالبة اسرار الجبروت ، قد استراحت من تعب السير ، أنظر ، الفتوحات الالهية ، ص ٣١٨ .
(٤) إيقاظ الهمم ، ص ١٦٠ .

ثم إن الله تعالى قد يخرجه من حالى القبض والبسط بإرادته المطلقة ، وذلك كـــى لا يركن السالك إلى شئ منهما ، وعندئذ يبقى بربه ، وحول هذا المعنى يقول ابـــن عجيبـــة "من آداب القبض الطمأنينة والوقار ، والسكون تحت مجارى الأقدار ، والرجـــوع إلـــى الواحد القهار ، فإن القبض شبيه بالليل ، والبسط شبيه بالنهار ، ومن شأن الليـــل الرقـــاد والهدوء ، والسكون والحنو ، فاصبر أيها المريد ، واسكن تحت ظلمة ليل القبض ، حتـــى تشرق عليك شموس نهار البسط ، إذ لابد لليل من تعاقب النهار ، ولابد للنهار من تعـــاقب الليل"[١]

ويشبه ابن عجيبة ، القبض بالليل ، والبسط بالنهار ، وابن عجيبـــة مـــن المدرســـة الشاذلية ، وقد تأثر الصوفى المسيحى ، القديس (جان دى لاكـــروا) Juan de la cruz بالشاذلية ، فهو يرى أن حال القبض الذى يمثلون له بالليل المظلم ، يشب الحالـــة التـــى يقول عنها (الليل المظلم للروح) [٢]

وخلاصة القول ، أن كل من القبض والبسط خارج عن إرادة السالك ، وكل منـــــهما مردون إلى إرادة الله ومشيئته وتدبيره .

٤ ـ الفناء والبقاء

يعرف ابن عجيبة الفناء بقوله "الفناء هو أن تبدو لك العظمة فتنســـيك كـــل شـــئ ، وتغيبك عن كل شئ سوى الواحد الذى ليس كمثله شئ ، وليس معه شئ ، أو تقول : هـــو شهود حق بلا خلق.[٣] أما البقاء فيما يرى أبن عجيبة ، فهو شهود خلق بحق .[٤]

ويفرق ابن عجيبة بين الفانى والعارف بقوله : "الفرق بني الفـــانى والعـــارف ، أن العارف يثبت الأشياء بالله ، والفانى لا يثبت شيئا ســـوى الله ، العـــارف يقـــرر القـــدرة

---

(١) إيقاظ الهمم ، ص ١٦١ .

(٢) Underhill (E) : Mysticism, A study in the Nature and Develompment of Man's Spritual consciousness, London, 1949, P. 391 .

(٣) إيقاظ الهمم ، ص ٢٩٦ .

(٤) إيقاظ الهمم ، ص ٢٩٦ ، ويمكن القول بلغة علم النفس الحديث ، أن حالة الفناء هى الحالة الوجدانية التى يفقد فيها الشخص مؤقتا شعوره بالأنا ، وهى فى اصطلاح الصوفية "عدم شعور الشخص بنفسه ولابشئ من لوازمها " ، انظر أبو الوفا التفتازانى ، (الدكتور) ، مدخل إلى التصوف الإسلامى ، القاهرة، عام ١٩٩١م ، ص ١١١ . وانظر ايضا ، عبد الكريم الجيلى ، الإنسان الكامل، القاهرة عام ١٣١٦هـ، جـ١ ، ص ٤٩ . أما البقاء فهو : بقاء الخلق المعدوم بذاته بوجود الحق ، حتى يقوم بالعبودية ، أنظر ، جامع الأصول ، ص ٣٦٦ .

والحكمة والفانى لا يرى إلا القدرة ، العارف يرى الحق فى الخلق ، كقول بعضهم ، مـــا رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه ، والفانى لا يرى إلا الحق ، يقول "ما رأيت شيئا إلا رايـــت الله قبله ، **العارف فى مقام البقاء ، والفانى مجذوب فى مقـــام الفنـــاء ، الفـــانى ســـائر ،** والعارف متمكن واصل"[١]

والحاصل أنه لما كان كل من الفانى والعارف يشهد القدرة الإلهية ، ولما كان الحالان واردين على السالك من الله بتدبيره وإرادته المطلقة ، فإن السالك فى حالى الفناء والبقـــاء يسقط تدبيره فى كل منهما ، بالإضافة إلى إرادته .

هـ - الأحوال وإسقاط التدبير:

تبين لنا مما سبق ، أثناء الكلام عن الأحوال ، أن ابن عجيبة يعبر عن فكرتـــه فـــى إسقاط التبير ، والإيمان بالقدر ، فهو قد صور لنا السالك بين أحوال القبـــض والبســـط ، والأنس ، والفناء والبقاء ، بلا تدبير أو إرادة ، باعتبار أن هذه الأحوال واردة عليه بإرادة الله ،حتى أن الواردات الإلهية التى توجب الأحوال ، هى عند ابن عجيبة مواهب الهيـــة أيضا.

---

(١) ايقاظ الهمم ، ص ٢٩٦ .

خامسا

ارتباط المعرفة والوجود بإسقاط التدبير

١-الوصول

٢-موضوع المعرفة .

٣ - فطرية المعرفة فى النفس

٤-أداة المعرفة .

٥-منهج المعرفة .

٦-المعرفة وإسقاط التدبير.

٧-إرتباط الوجود بإسقاط التدبير.

خامسا : إرتباط المعرفة والوجود بإسقاط التدبير

١- الوصول :

الوصول فيما يرى أبن عجيبة يكون فى حال الفناء ، فيفنى السالك عن نفسه ، ويبقى بمعرفة ربه ، ويسمى السالك المتحقق بالمعرفة ، واصلا ، ووصوله إلى الله هو وصولـــه إلى المعرفة به ،وهو ليس وصولا بالمعنى المفهوم بين ذوات الأشياء ، فإن الله يجل عن ذلك ، وحول هذا المعنى يقول إبن عجيبة :معنى الوصول عندهم (أى : الصوفية) تحقيـق العلم بوجوده وحده ، فوصولك إليه هو شعورك بعدمك ، حتـــى يكـــون عدمـــك عنـــدك ضروريا، علمك بوجوده كذلك"[١]

ويرى أبن عجيبة ان هذا الأمر (أى : العلم بوجوده ومعرفته) ، كان حاصلا لك (أى: للسالك) فى نفس الأمر ، لكن لم تشعر به .

ومعنى ما سبق ، أن ابن عجيبة يذهب إلى أن المعرفة الإلهية فطرية فى الإنســـان ، فى عالم الذر ، لكن الإنسان ، لم يشعر بذلك.

ووصول السالك إلى الله لا يتم إلا عندما يغيب عن نفسه ، وعن كل ما سوى الله من الأكوان والعالم ، والموجودات كلها ، وهذا الوصول يكون ذوقيا وليس حسيا ، فجـــل الله تعالى أن يتصل به شئ ، فهو ليس بمتحيز فى مكان ، وهو لا يتصل بشـــئ ، فـــهو لا يفتقر إلى شئ ، وحول هذا المعنى يقول ابن عجيبة :"وصول العبد إلى الله هـــو تحقيـــق العلم بوجوده ، والغيبه عن نفسه ، وعن كل ما سواه ، وألا تكن كذلـــك بـــأن تعتقـــد ان الوصول يكون حسيا ، فجل ربنا : أى تعالى وترفع أن يتصل به شئ ، للزوم تحيزه ، أو يتصل هو بشئ ، للزوم افتقاره وحصره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.[٢]

---

[١] إيقاظ الهمم ، ص ٣٦٥ .
[٢] إيقاظ الهمم ، ص ٣٦٥ .

وفيما يلى نبين آراء ابن عجيبة فى المعرفة بالله مـــن حيـث موضوعـها وأداتـها ومنهجها ، وسائر ما يتعلق بذلك ، كما نوضح كيف طبق ابن عجيبة فكرته فـى إسـقاط التدبير والإرادة على المعرفة ، وما يترتب على هذا التطبيق من نتائج .

٢ ـ موضوع المعرفة:

موضوع المعرفة عند ابن عجيبة وعند غـيره مـن الصوفيـة ، ذات الله وصفاتـه واسمائه ،وهو يرتبط بفكرته فى إسقاط التدبير والاختيار ، والإرادة ، فالعارف فى فنائـه عن نفسه والعالم ، يكون متحققا بالمعرفة ، وعندئذ يكون العارف فانيا عن كل ما سـوى الله أو الاغيار ومنها التدبير والاختيار والإرادة ، ويكون فى نفس الوقت باقيا بالله ، فقـد وهبه الله أنوار الأزلية ، وهى أنوار صفاته وأسمائه ، يقول ابن عجيبة عن هذا المعنـى "التحقق بالوصف هو التحلى والاتصاف به قلبا وقالبا ، ويكون ذلك باديا بين خلقه ، فـلا يتحقق بالذل لله ، حتى يظهر ذلك بين عباده"[1]

ولا يصح التحقق بالوصف فيما يرى ابن عجيبة ، حتى يتعلق المريـد بضـد هـذا الوصف من الله ، فلا يتعلق ولا يلتجئ فى فقره أو عجزه أو ضعفه إلا إلى الله، يقول ابن عجيبة عن هذا المعنى : "من أراد أن يمده الله بالمقدرة الخارقة للعوائد ، فليتحقق بعجزه ، ويتبرأ من حوله وقوته ، ومن أراد أن يمده الله بالقوة على طاعة مولاه ، ومجاهدة نفسـه وهواه ، فليتحقق بضعفه ، ويسند أمره إلى سيده"[2]

ويرى أن عجيبة أن كيفية التعلق بأوصاف الحق ، هو أن تلتجئ فى امـورك (أى: السالك) إليه ، وتعتمد فى حوائجك عليه ، وترفض كل ما سواه ، ولا ترى فى الوجود إلا إياه[3] ، فمثلا : إذا نظرت إلى وصفه تعالى بالقدرة والقوة ، لم تلتجئ فى حال عجـزك وضعفك إلا إلى قدرته وقوته [4]

أما كيفية التخلق بأوصاف الله تعالى ، فإن ابن عجيبة يقول للسالك :"أن تكـون فـى باطنك عزيزا، قويا به (أى : بالله) ،عظيما كبيرا عنده ، قويا فى دينه وفـى معرفتـه ،

---

[1] إيقاظ الهمم ، ص ٣١٤ .
[2] أيقاظ الهمم ،ص ٣١٤.
[3] ايقاظ الهمم ، ص ٢٣٣ .
[4] ايقاظ الهمم ، ص ٢٣٣ .

عالما به وبأحكامه ، وهكذا ، وحاصلها استعمال الحرية فى البـــاطن ، والعبوديـــة فـــى الظاهر "[١]

وأوصاف الله فيما يرى ابن عجيبة لها أنوار تنير القلوب ، والسرائر ، فإذا اشـــرقت هذه الأنوار ، غاب السالك وفنى عن شهود الأغيار وما سوى الله ، وحينئذ تفنى الرســـوم والأشكال والأكوان ، ويبقى السالك بالله تعالى، يقول ابن عجيبة : "أنار سبحانه القلـــوب والسرائر بأنوار أوصافه ، وهى عظمة الربوبية وأوصافها ، فإذا اشرقت فى سماء القلوب الصحية ، والأسرار الصافية ، غاب العبد عن شهود الأغيار ، وغرق فى بحر الأنـــوار، فتفنى الأشكال والرسوم ، ولايبقى إلا الحى القيوم.[٢]

بان لنا مما سبق كيف طبق ابن عجيبة فكرته فى إسقاط التدبير فى مجال موضـــوع المعرفة ، فالعارف إذا اشرقت عليه أنوار الصفات الإلهية ، فإنه يفنى عن الأكوان شهودا وحينئذ يكون مسقطا لتدبره وإرادته مع الله .

٣ ـ فطرية المعرفة فى النفس :

يذهب ابن عجيبة إلى أن النفس الإنسانية تحتوى على المعرفة الإلهية بالفطرة ، وذلك لإيمانه بأنه النفس كانت موجودة فى عالم آخر قبل وجودها فى هذا العالم ،وأن الله تعـالى اشهدها فى ذلك العالم أحديته ، فتحققت حينئذ بالمعرفة به ، فلما هبطت إلى هذا العـــالم ، حال البدن بينها وبين معرفتها السابقة ، واصبحت مطالبة بالمعرفة مرة أخرى ، ويتضـــح هذا من قول ابن عجيبة :"الروح فى اصل ظهورها ، فى غاية الطهارة والصفاء ، فحيـــن أبرزها الله تعالى فى عالم الذر ، كانت عالمة داركة ، فأشهدها الله تعالى عظمته وجلالـــه وبهاءه ، وكمال وحدانيته ، فقال لها حينئذ : (ألست بربكم :قالوا بلـــى) ، فكلـــها أقـــرت بالربوبية ، فلما ركبها فى هذا القالب ، فمنها من أقرت بذلك العهد ، ومنها مـــن جـــهلت وانكرت"[٣]

ويوجه ابن عجيبة الخطاب الى السالك بأنه ينبغى عليه الجمع بين إقـــرار الظـــاهر بالربوبية فى عالم الشهادة ، وبين توحيد الباطن فى العلم السابق ، فهو يقول له "أشـــهدك

---

[١] إيقاظ الهمم ، ص ٢٣٣ .
[٢] إيقاظ الهمم ، ص ١٩٩ .
[٣] إيقاظ الهمم ، ص ٤٣٠ .

الحق تعالى حين كنت فى عالم الأرواح، ربوبيته ووحدانيته ، فعلمتها وحققتها من قبل أن يستشهدك : أى :يطلب منك تلك الشهادة ، فحين طلبها منك ، وجد روحك عالمة ، فنطقت بإلهيته التى عرفتها فى عالم الذر ألسنة الظواهر ، وتحققت بأحديته التى شـهدتها قبـل التركيب ، القلوب والسرائر ، فكل ما ظهر من الإقرار بالربوبية فهو فرع الإشهاد المتقدم فى عالم الغيب ، وكل ما ظهر من التحقق بالاحدية للقلوب فهو فرع العلم السابق فى علـم الغيوب ، فالواجب على العبد أن يكون جامعاً بين إقرار الظـاهر ، وتوحيـد البـاطن ، فالأول فرق ، والثانى جمع"[١]

ويستند إبن عجيبة فى إيمانه بأن المعرفة فطرية فى النفس ، وسبق وجود النفس فـى عالم آخر ، إلى قول الحق تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظـهورهم ذريتـهم ، واشهدهم على أنفسهم ،ألست بربكم .؟ قالوا بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنـا كنـا غافلين)[٢]

وهذه المعرفة الفطرية عند أبن عجيبة ، ليست فى جوهرها شيئا غير المعرفة بإسقاط التدبير مع الله ، وذلك لأن إقرار العبد بالربوبية فى الذر ، معناه الإقرار بإسقاط التدبـير معه ، وعدم منازعته وإقرار العبد بإسقاط التدبير مع الله، هو معاقدة ، كانت قبل أن تكون التى هى محل الاضطراب والتدبير مع الله – فى البدن ، فلما حلت النفس بالبدن ، وقـع التدبير منها ، وهذا يعنى أن المعرفة بالله قد احتجبت بحجاب البشرية ، وعندمـا يصـل السالك للطريق الى المعرفة والمشاهدة فإنه يتحقق بإسقاط التدبير مع الله.

٤ ـ اداة المعرفة :

يعتبر القلب أداة المعرفة عند ابن عجيبة وعند غيره من الصوفية ، وهو قد ربط بين أداة المعرفة وإسقاط التدبير ، ويتبين ذلك من تطبيق فكرته فى العناية الإلهية على القلب ، واستمع الى ابن عجيبة وهو يقول فى هذا المعنى "جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقليـة ينطبع فيها كل ما يقابلها ، وليس لها إلا وجهة واحدة ، فإذا أراد الله عنايته بعبد ، شـغل فكرته بأنوار ملكوته ، وأسرار جبروته ، ولم يعلق قلبه بمحبة شئ من الأكوان الظلمانية،

---

[١] إيقاظ الهمم ، ص ٤٣١ .
[٢] سورة الأعراف آيه ١٧٢.

والخيالات الوهمية ، فانطبعت فى مرآة قلبه انوار الإيمان والاحسان ،واشرقت فيها أقمار التوحيد وشموس العرفان"[١]

ويعرف ابن عجيبة القلب بأنه القوة المستعدة لقبول المعرفة الإلهية او العلم بالله ، والقلب السليم فيما يرى ابن عجيبة هو القلب الصحيح ، الذى يكون دواؤه وغاية صحته ، تمكن العلم بالله منه ، وتحصيل المعرفة الإلهية ، فيقول حول هذا المعنى " المقصود من العزلة هو تفرغ القلب ، والمقصود من التفرغ هو جولان القلب واشتغال الفكرة ، تحصيل العلم وتمكنه من القلب ، وتمكن العلم بالله من القلب هو دواؤه ، وغاية صحته ، وهو الذى سماه الله ، القلب السليم.[٢]

والقلوب فيما يرى ابن عجيبة ، تحيا بالأعمال التى تكون بالله ولله ، بحيث يفنى فيه السالك عما سوى الله ، فلا يلاحظ السالك فيه أهواءه وحظوظه ، ويتبرأ فيه من حوله وقوته ،حتى إذا اظهرته القدرة الإلهية ،غاب السالك عن شهوده ، يقول ابن عجيبة فى هذا المعنى:" لا عمل أرجى لحياة القلوب من عمل يكون بالله ولله ، غائبا فيه عما سواه ،غير ملاحظ فيه حظوظه وهواه ، متبرئا فيه من حوله وقواه ، فإذا أظهرته عليه القدرة ، غاب عن شهوده ، وصغر فى عينه صورة وجوده ، لما تجلى فى قلبه من عظمة مولاه".[٣]

فإذا كان الأمر كذلك ، فإن أبن عجيبة يكون قد ربط بين فكرته وبين أداة المعرفة ، وهى القلب السليم ، فإن القلب إذا تخلص من أمراضه وأخلاقه المذمومة ، اصبح مستعدا لتلقى الأنوار عليه ، وحينئذ يفنى السالك عن حوله وقوته ،وتدبيره واختياره وإرادته .

٥ - منهج المعرفة :

يميز ابن عجيبة بين منهجين للمعرفة بالله ، أحدهما متعلق بالعقل ، وهو (الاستدلال) على وجود الله بالنظر فى مصنوعاته وما فيها من الدلائل على وجود الصانع وقدرته ، والآخر متعلق بالقلب ، وهو الكشف او الشهود ، الذى يدرك به الصوفى الذات الإلهية فى حال من الفناء او الغيبة عن عالم الحس .

---

[١] ايقاظ الهمم ،ص ٣٨ .
[٢] أيقاظ الهمم ، ص ٣٨ .
[٣] ايقاظ الهمم ، ص ١٠٩ .

ومنهج الاستدلال العقلى ، هو المنهج الذى ينتقل صاحبه من معنى إلى معنى ، كـأن يستدل من وجود آثار الله ،وهى الكائنات ، على وجود مكونها ، وهو الله، وهو المنـهج الذى يصطنعه المتكلمون والفلاسفة.

أما منهج الكشف الصوفى ، أو منهج الشهود الذوقى ، فلا انتقال فيه بالذهن من معنى إلى معنى ، بل هو منهج يدرك به الصوفى ، الحقيقة المطلقة وهى الله ، إدراكـا ذوقيـا مباشرا ، لا مدخل فيه لاستدلال العقل ، وهو المنهج المسمى بالكشف الصوفى ، ويوضح لنا ابن عجيبة الفرق بين منهجى الاستدلال العقلى ، والكشف أو الشهود الذوقى ، قـائلا: "فكرة أهل التصديق والإيمان ، هى سير القلب[١] فى ميادين الأغيار ، فهم يتفكرون فـى المصنوعات ، ليتوصلوا إلى معرفة الصانع"[٢]

أما منهج الشهود الذوقى ، فيقول عنه ابن عجيبة : "فكرة أهل الشهود والعيان ، هـى سير الروح فى ميادين الأنوار ، قد انقلبت الأغيار فى حقهم أنوارا ، والدلائل مدلـولات ، والغيب شهادة ، وهم الذين اطلعهم الله على سر قوله تعالى :قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)[٣].... [٤]

ويسمى ابن عجيبة ، الصوفية المعتمدين على منهج الاستدلال (بالسـالكين) ، كمـا يسمى الصوفية المعتمدين على منهج الكشف او الشهود الذوقى (بـالمجذوبين) ، وينعـت طريق السالكين فى المعرفة (بالترقى) ، ويصف طريق المجذوبين بالتدلى ، وحول هـذا المعنى يقول ابن عجيبة :"ارباب الجذب يكشف لهم أولا من غير مجاهدة ، عـن شـهود الذات ، فيسكر (أى : الصوفى) بشهود نورها"[٥] ويستطرد ابن عجيبة كلامه بقوله : "ثـم يرد (أى الصوفى) من شهود الذات إلى شهود الصفات ، فلا يرى الا صفات الحق تكثفت وظهرت ، وينكر الأثر ، ثم إذا شهد الصفات تعلق بالأسماء اللازمة ، ثم يرجع إلى شهود آثاره"[٦]

---

[١] إيقاظا لهمم ، ص ٤٣٧ .
[٢] أيقاظ الهمم ، ص ٤٣٧ .
[٣] سورة يونس ، آيه ١٠١ .
[٤] أيقاظ الهمم ، ص ٤٣٧ .
[٥] إيقاظ الهمم ، ص ٤٢٦ .
[٦] أيقاظ الهمم ، ص ٤٢٦ .

أما السالكون فيما يرى ابن عجيبة ، فهم على العكس من هـؤلاء ، فـهم يسـتدلون بوجود آثاره على وجود اسمائه ، وبوجود أسمائه على وجود صفاته ، وبوجود صفاتـه على وجود ذاته .[١]

وخلاصة القول أن نهاية السالكين ، وهى شهود الذات ، هـى بدايـة المجذوبيـن ، ونهاية المجذوبين وهى شهود الأثر ، بداية السالكين ، ولكن ليس بمعنى واحد ، بـل إن احدهما نازل يشهد الأشياء بالله ، والآخر صاعد يشهد الأشياء بنفسه لله .

تبينا مع ابن عجيبة أن معرفة المجذوب معرفة ذوقية تتم بواسطة الكشف الصوفـى المباشر ، أو الشهود الذوقى ، فيكشف الله للصوفى المجذوب عن كمال ذاته ، ثم يرده إلى المعرفة بالصفات والأسماك والآثار على الترتيب .

وهناك فريق من علماء النفس المحدثين ، الذين درسـوا التصـوف مـن الناحيـة السيكلوجية ، يميلون إلى إنكار هذا الإدراك الذوقى ، أومنهج الكشف او الشهود ، لأنـه ليس ثمة مايبرر من الناحية العلمية افتراض إدراكات خارقة، أو مصادر للمعرفـة تعلـو على البشر ، او افتراض علل عليا للمعرفة.[٢]

ويوجد وجه شبه بين ما يقول ابن عجيبة عن الكشف او الإلهام كمنـهج للمعرفـة الإلهية ، وبين مايقوله جان فان رويسبروك ، عن هذا المنهج الإلهامى ، يقول رويسبروك :"فى لحظة الإلهام الإلهى ،يبزغ ويلمع ضوء غير مدرك للعقل ، فيضئ ظلمة الأكـوان ، وفيه تتأمل الحياة الأزلية وتشاهدها من خلال هذا الضوء"[٣]

ويصف (بيوك) عالم النفس الكندى شعوره أثناء استخدام المنهج الإلهامى او منـهج الكشف الصوفى قائلا :" أتى على احساس بالسرور والسعادة ، وفى الحال توبعت بومضة غير قابلة للوصف"[٤]

ومن خصائص التصوف التى نجدها عند (برترند رسل) ، الاعتقاد فى الكشـف او البصيرة ، منهجا فى المعرفة ، مقابلا للمعرفة الاستدلالية.[٥]

---

(١) ايقاظ الهمم ، ص ٤٢٦ .
(٢) Jhouless (Robert) : An Introduction to the psychology of religion , combridge, 1928,p. 261 .
(٣) Elmar°. Brien : Varieties of Mystic Experience, London , 1965, p. 153 .
(٤) James (W.) : The Varieties of religious experience, London, 1935, p. 399 .
(٥) Russell (B.) : Mysticism and Logic, NewYork, 1957 , P. 28 .

ومنهج الكشف الصوفى ، حال لا يدركه العقل ، وهو يحدث فى حال الفناء ، يقـــول الدكتور أبو العلا عفيفى حول هذا المعنى : غلبة الشهود الإلهى فى كل شئ ، وهى حـــال لايدركها العقل ، ولايحتملها قواه ، فيفقد السالك فى هذا المقام نفسه ، كما يفقد العالم[1]

٦ـ المعرفة واسقاط التدبير:

لما كان ابن عجيبة يريد أن يبين ان الوصول إلى المعرفة بالله ليســـت بمجـــاهدات السالك وأعمال طاعاته المختلفة ، لأن لو كانت كذلك لكانت معللة بإرادة الإنسان ،وليـــس للإنسان إرادة حقيقية إلى جانب إرادة الله، ومن ثم يكون الوصول إلى الله بمحض عنايـــة الله.

وإذا كان الوصول بمحض عناية الله ، فإن الله اختص من العباد من يمنحـــهم هـــذه العناية من البداية ، فيعرفهم بذاته معرفة مباشـــرة ، دون أن يعـــانوا مـــن المجـــاهدات والطاعات ، والترقى فى المقامات .

وهكذا يفسح ابن عجيبة لفكرة العناية الإلهية مكانا بارزا فى مذهبه الصوفى ، فـــهو يذهب إلى ان المجذوب هو شخص اختصه الله بعنايته ، فعرفه بذاته من بداية الطريـــق ، هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، فإن ابن عجيبة يجعل معرفة المجذوب ، تكون بمحض عنايـــة الله وتدبيره وإرادته .وبالإضافة الى ذلك فإن ابن عجيبة يطبق فكرته فى إسقاط التدبـــير والاختيار على منهج المعرفة ، وهو الكشف او الشهود .

وخلاصة القول ، إن اساس المعرفة عند ابن عجيبة ، الا يراها منســـوبة إلـــى ارادة السالك ، فهى غير متعلقة بأعمال مجاهداته ، فالله يوردها على السالك فى أى وقت يشاء، فأفعال الله منزهه عن أن يكون لها علة عن جانب الإنسان ، فلا يجب أن يقف المريد مـــع مجاهداته ، فييأس من حصول المعرفة عن طريق المجاهدة ، وفى هذا يقول ابن عجيبـــة للسالك :"إذا تجلى لك الحق بإسمه الجليل ، أو باسمه القهار ، وفتح لك منها بابا ووجهة ،

---

[1] ابو العلا عفيفى (الدكتور) ، التصوف الثورة الروحية فى الإسلام ، القاهرة عام ١٩٦٣م ،ص ١٣٨.

لتعرف منها ، فأعلم ان الله تعالى قد اعتنى بك واراد أن يجتبيـك لقربـه ، ويصطفيـك لحضرته ، فالتزم الأدب معه بالرضا والتسليم "[١]

مما سبق كله ، يتضح أن ابن عجيبة يطبق فكرته فى إسـقاط التدبـير والاختيـار والإرادة على المعرفة الإلهية ، فهو من ناحية يرى أن المعرفة بالله على التحقيق ، هـى المعرفة بإسقاط التدبير مع الله ، وهو أمر فطرى فى الإنسان ، تحقق به فى عالم الـذر ، ومن ناحية اخرى ، فإنه لا ينسب حصول المعرفة بالله على أعمال المجاهدات ؛ إيمانـا منه بأن الإنسان لا تدبير له ولا اختيار ولا إرادة .

٧ ـ إرتباط الوجود بإسقاط التدبير :

يرى ابن عجيبة أن الكائنات ليس لها مرتبة الوجود الحقيقى ، وإنما الوجود الحقيقـى لله ، فالكائنات ينطوى وجودها فى وجود الله ، أى تتلاشى وجودها ، لأن الله هو الموجود المتصف بكونه ظاهر ، وكونه ظاهرا يقتضى الا يتصف بالظهور معه سواه ، يقول ابـن عجيبة :"إسمه الظاهر يقتضى بطون الأشياء ، أى هلاكها واضمحلالها ."[٢]

وينتهى ابن عجيبة من فكرته فى أن الكائنات لاوجود لها على التحقيق ، إلى القـول بالاحدية التى ينتفى معها الاثنينية والكثرة فى الوجود ، ومادام الله متصفا بالأحدية ، فليس للكائنات الأخرى وجود معه ، وإنما وجودها أمر متوهم ،ويلخص ابن عجيبة مذهبه فـى الأحدية بقوله "الثبوت للأكوان أمر عرضى ، والحق اللازم هـو وجـود احديـة الحـق تعالى"[٣]

ولايتحقق الصوفى بشهود الأحدية فى الوجود ، الا بعد المعرفة بـالله ، والعـارف يتوصل إلى شهود احدية الله فى حال الفناء عن نفسه وعن العالم ، فلايـرى وجـوده أو عدمه ، لاستيلاء شهود الأحديةعلى قلبه ، ويستفاد ذلك ممايقوله ابن عجيبة للسالك :"حـق

---

[١] ايقاظ الهمم ، ص ٢٧ .
[٢] ايقاظ الهمم ، ص ٢٦١ .
[٣] ايقاظ الهمم ، ص ٢٦٥.

البصيرة[١] يشهدك وجود الحق وحده ، لاوجودك ، لأنك مفقود من اصلك ،ولا عدمـــك ، إذ لايعدم إلا ماثبت له وجود ،ولم يكن مع الله موجود"[٢]

وإخص مايوصف به المشاهد لأحدية الله فى الوجود عند ابن عجيبـــة هـــو إســـقاط التدبير ، فلما كان المشاهد لأحدية الله متحققا بالمعرفة ،وكان العارف بالله مسقطا لتدبـــيره، ترتب عليه أن المشاهد للأحدية مسقطا لتدبيره ايضا .

اضف إلى ما تقدم ، أن العارف الشاهد لأحدية الله ، لايرى أعماله واحواله بنســـبتها إلى إرادته ، وذلك لفنائه عن نفسه وعن العالم والأكوان فى شهوده للأحدية ، فيقول ابـــن عجيبة حول هذا المعنى : "الحق تعالى غيب السائرين له ، والواصلين إليه عـــن رؤيـــه اعمالهم الظاهرة ، وشهود احوالهم الباطنة ، اما السائرون ؛ فلأنهم يتهمون انفسهم علـــى الدوام ، فمهما صدر منهم احسان ، ولاح لهم يقظه او وجدان ، راوها فىغايـــة الخلـــل والنقصان ، واستحيوا من الله ان يعتمدوا عليها أو يعتدوا بها ، فغـــابوا عـــن أعمالـــهم واحوالهم ، واعتمدوا على فضل ربهم"[٣]

ويستطر ابن عجيبة حديثة بقوله "وأما الواصلون ، فلانهم فانون عن انفسهم ، غائبون فىشهود معبودهم ، فحركاتهم وسكانتهم كلها بالله ومن الله وإلى الله ، إذ محال أن تشـــهده وتشهد معه سواه ، فإن ظهرت عليهم طاعة ، أو ظهر منهم إحسان شهدوا فى ذلك الواحد المنان".[٤]

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن العارف المشاهد للأحدية فى الوجود ، يكون ذلك بمحض عناية الله ، فقد أصبح لله لالشئ دونه ، وعندئذ لايكون لهم تدبير أو اختيار أو إرادة مـــع مراد الله .

---

[١] البصيرة فى اصطلاح الصوفية ، ناظر القلب ، كما أن البصر ناظر القالب ، والبصيرة ترى المعانى اللطيفة النوارنية ، والبصر يرى المحسوسات الكثيفة الظلمانية ، وانظر ، ايقاظ الهمم ، ص ٨٦ .

[٢] إيقاظ الهمم، ص ٨٨ .

[٣] أيقاظ الهمم ، ص ١١٦ .

[٤] إيقاظ الهمم ، ص ١١٧ .

خاتمة البحث

بعد أن فرغنا من دراسة فكرة إسقاط التدبير عند ابن عجيبة ، وجب علينا أن نلم فى هذه الخاتمة بأهم النتائج التى انتهينا إليها من بحثنا هذا ...

ففكرة إسقاط التدبير ، التىحللناها ، ووصورناها ، وعرضنا لأهم معانيها ،وتكلمنـــا عن دورها فى المجاهدة ، وآداب السلوك ، والمقامات والأحوال ،وفى المعرفة والوجود ، عند ابن عجيبة ، كل اولئك قد انتهى بنا إلى النتائج التالية :

أولاً :

استخدم ابن عجيبة فكرته فى إسقاط التدبير ، بمعنى ان الإنسان لا إرادة له بالقيـــاس إلى إرادة الله ، وليس له نظر أو تفكر فى عاقبة الأمور فى المســـتقبل ، أو توجيـــه مجرى الحوادث فوق مشيئة الله.

ومع أن ابن عجيبة يحذر السالك من التدبير ، إلا أنه لايذم تدبير الدنيـــا والاشـــتغال بأمر الرزق ، مادام المدبر فيها موافقا لمراد الله والشريعة ، وغير موافق لحظـــوظ نفسه ، ولكن ليس معنى ذلك تعلق هم السالك بشأن الدنيا والرزق ، كى لايقوده فكره بالاشتغال بماضمنه الله له ، وهو الرزق ، وتقصيره فيما طلبه الله والشريعة منه .

ولايفهم من إسقاط التدبير عند ابن عجيبة إن يترك الإنسان العمل ، اعتمادا علـــى سبق تقدير الرزق فى الأزل ، فإن الله لم يأمر بذلك ، وإنما امر بـــالعمل ، ووعــد بالجزاء لمن يــتــقنه .

وعلى الجملة ، فإن إسقاط التدبير عند ابن عجيبة لايعنى ان يستند السالك إلى الحكما السابق ويترك العمل ، أو أن يستند إلى العمل دون نظر إلـــى القــدرة ، والمشــيئة السابقة ، ولكنه يعنى بإسقاط التدبير الجمع بين هذين الأمرين ، وبهذا يضفـــى ابـــن عجيبة على فكرته معنى ساميا ، فهو يجعل السالك حرا ، أمـــام النـــاس ،ومتحققـــا بالاستقرار النفسى ، بحيث لايكون هناك تعارض بين حياة التعبد ، وحياة المجتمع .

ثانيا:

يطبق ابن عجيبة فكرته ،وهى إسقاط التدبير والإرادة فى مجال مجاهدة النفس وآداب السلوك، ويخرج من هذا التطبيق برأى فيه عمق ، فالوصول إلى الله فى رأيه ، ليس بمحو أخلاق المريد المذمومة عن طريق مجاهدته لنفسه ، لأنه لو كان الأمركذلك ، لكان الوصول مستندا إلى إرادة المريد ، وليس للإنسان إرادة على التحقيق ، وإنما الوصول إلى الله فى رأيه ، يستند إلى إرادة الله وتدبيره وعنايته .

وآداب السلوك عند ابن عجيبة ، هى القواعد العامة التى يجب أن يلتزم بها السالك فى جميع مراحل سلوكه ،وهى عنده ، آداب التجريد والتسبب ، والخضوع لحكم الوقت ، والعبادة الخالصة من الأعواض ، وآداب الطلب او السؤال .

فالتجريد هو إفراد القلب والقالب لله ، أما التسبب فهو الاشتغال بأمر الدنيا والوزق ، وسواء كان السالك متجردا أم متسببا ، فأدبه مع الله إسقاط التدبير والاختيار والإرادة.

أما الخضوع لحكم الوقت ، فيعنى عند ابن عجيبة ، خضوع السالك لما يقيمه الله فيه من الأحوال النفسية ، فلا يحاول الانتقال من حال إلى آخر . ويبالغ ابن عجيبة فى تطبيق فكرته هنا ، فهو يحذر السالك من أن يطلب من الله أن ينقله من حال إلى حال ،لأن ذلك يكون منازعة للقضاء والتدبير الإلهى .

ويطبق ابن عجيبة فكرته فى إسقاط التدبير ، فى مجال آداب العبادة الخالصة من الأعواض ، فهو يرى أن السالك لايصح أن يطلب عوضا من الله أو جزاء ، فى مقابل، أن يقوم بعمل ما ، لأنه ليس له فعل ولا اختيار ، وإنما الفاعل الحقيقى هو الله.

والطلب ، أو سؤال المريد للخلق ، مذموم ، فيمايرى ابن عجيبة ، أماالطلب او السؤال من الله فهو محمود ، بشرط أن يظهر لمريد فاقته واضطراره إلى الله ، فإن الذى يطلبه وحصلت له الاجابة فيه ، هو الذى قسم له فى الأزل ، فالأدب هو الاعتماد على سابق تدبير الله للمريد فى الأزل قبل الطلب أو السؤال ، فعناية الله إذن سابقة.

ثالثا:

إذا كان الصوفية قد تواضعوا على أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، فإن ابـن عجيبة يخالفهم فى هذا الرأى ، فهو يرى أن كلا من المقامات والأحوال مواهـــب ، وإذا كان الأمر كذلك فإن ابن عجيبة يطبق فكرته فى إسقاط التدبــير ، فــى مجــال المقامات ، فلايراها كسبا بإرادة السالك وتدبيره واختياره ، لأنها لوكانت بكسبه ،لكان للإنسان إرادة ينسب إليها فعل من الأفعال نسبة حقيقة ، وهذا يخالف مذهبه فىنفــى وجود الإرادة الإنسانية ، والإيمان بأن الله خالق أفعال الإنسان . فمثلا فــى مقــام التوبة ، نجد أن ابن عجيبة يرى أن التائب كما يجب عليه ان يتوب عن الذنـــوب ، ينبغى أن يتوب عن التدبير والاختيار ، لأن التدبير من أقبح هذه الذنوب .

وفى التوكل ايضا يذهب ابن عجيبة الى أن السالك أثناء توكلـــه ، تحركـــه القـــدرة والعناية الأزلية، فليس له مع الله تدبير أو اختيار أو إرادة والنتيجة ، أن ابن عجيبـــة يريد أن يمضى مع فكرته فى إسقاط التدبير إلى نهاية الطريـــق ، فـــهو قـــد جعـــل المقامات ، التىهى فى رأينا – مظهر حقيقى لإرادة السالك – مردودة إلى الفضــــل الإلهى والعناية الإلهية ، وبهذا يكون الإنسان بلا فعل أو كسب ، ويظهر بوضوح أن مذهب ابن عجيبة (مذهب جبرى) ، لايسلم بوجود تدبير أو اختيار أو إرادة حقيقيـــة للإنسان ، وهذه نتيجة غريبة جدا .

ونجد أيضا فى الأحوال عند ابن عجيبة أنه يعبر عن فكرته فـــى إســـقاط التدبـــير ، والإيمان بالقدر ، ونفى وجود الإرادة الإنسانية ، فهو قد صور لنا السالك بين أحـــوال القبض والبسط ، والأنس ، والفناء والبقاء ،بلا تدبـــير أو إرادة ، باعتبـــار أن هـــذه الأحوال واردة عليه بارادة الله ، وتدبيره واختياره ،وليس للسالك مدخل فـــى ورود هذه الأحوال عليه ، وعليه أن يقيم فى الحال الذى أقامة الله فيه ، ويســـكن للقضـــاء الإلهى .

رابعا:

يطبق ابن عجيبة فكرته وهى إسقاط التدبير فى مجال المعرفة بالله ، والوجود ، فهو يذهب إلى أن المعرفة الإلهية ليست بمجاهدات السالك ، لأنها لو كانت كذلك ، لكانت معللة بإرادة السالك ، وليس للإنسان إرادة حقيقية فيما يرى أبن عجيبة ،ومن ثم يكون الوصول إلى الله بعناية الله وفضلة .

ولما كان الوصول بمحض عناية الله ، فإن الله أختص من الناس من يمنحهم هذه العناية منذ البداية ، فيعرفهم به معرفة مباشرة ، دون ان يعانوا من المجاهدات وأعمال الطاعات ،والترقى فى المقامات والأحوال ،وهؤلاء هم المجذبون ، فإن معرفة المجذوب تكون بعناية الله وفضلة .

والعارف ، إذا أشرقت عليه أنوار الصفات الإلهية ، فإنه يفنى عن الأكوان شهودا ، وحينئذ يكون مسقطا لتدبيره وإرادته ، فيكون بالله ولله .

ويذهب ابن عجيبة إلى أن اداة المعرفة القلب ، وهويطبق فكرته فى إسقاط التدبير فى مجال القلب ، فإن القلب إذا تخلص من حظوظه ،وتبرأ من حوله وقوته ، وفإنه يسمى عندئذ (القلب السليم) ، فتظهر حينئذ القدرة الإلهية على قلب السالك ، العمل الذى يحيا به القلب ، وهو العمل الذى يكون بالله ولله ، فينفى السالك عن الأغيار ،ويصبح مستعدا لتلقى المعارف ، وعندها يفنى السالك عن حوله وقوته وتدبيره واختياره وإرادته .

وإذا كان ابن عجيبة قد طبق فكرته فى مجال المعرفة الإلهية ، فنجد أنه قد طبق نفس الفكرة فى مجال تصوره عن الوجود ، انطلاقا من حال الفناء ، فهو يرى أن الكائنات ليس لها مرتبه الوجود الحقيقى ، وإنما الوجود الحقيقى لله ، وينتهى ابن عجيبة من ذلك إلى القول بالاحدية التىينتفى معها الكثرة .

ولايتحقق السالك بشهود الأحدية الا بعد العرفة بالله فى حال الفناء عن شهود السوى، ولما كان المشاهد للأحدية متحفظا بالمعرفة ، وكان العارف بالله مسقطا لتدبيره مع الله ، ترتيب عليه أن المشاهد للأحدية يكون مسقطا لتدبيره كذلك.

مراجع البحث

أ - المراجع فى اللغة العربية .

ب - المراجع فى اللغة الانجليزية

أ- المراجع فى اللغة العربية.

١-ابن ابى سعيد (محمد بن المنور) : اسرار التوحيد ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢-اين عباد الرندى ، غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية ، دار إحياء الكتـــب العربية ، القاهرة ، عام ١٢٧٨ هـــ

٣-ابن عجيبة الحسنى ، إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، مكتبة مصطفى البـــابى الحلبـــى ، القاهرة ، عام ١٩٨٢ م .

٤-ابن عجيبة الحسنى ،الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، عام ١٩٨٣ .

٥-أبو العلا عفيفى (الدكتور) : التصوف الثورة الروحية فى الإســـلام ، القـــاهرة عـــام ١٩٦٣ م.

٦-ابو المعين النسفى ، بحر الكلام ، بجموعة الرسائل ، مطبعة كردستان ، عام ١٩١١م.

٧- ابو الوفا التفتازانى ، (الدكتور) : علم الكلام وبعض مشكلاته، القاهرة، عام ١٩٦٦م

٨-ابو الوفا التفتازانى (الدكتور) : ابن عطاء الله السكندرى وتصوفـــه ،القـــاهرة ، عـــام ١٩٥٨م.

٩-ابو الوفاء التفتازانى (الدكتور) : مدخل الى التصـــوف الإســـلامى ، القـــاهرة عـــام ١٩٩١م.

١٠-أحمد زروق الفاسى ، قواعد التصوف ، القاهرة ، عام ١٩٦٨ .

١١-أحمد زروق الفاسى : قرة العين فى شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى ،منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، عام ١٩٧٣م .

١٢-التهانوى (محمد على الفاروقى) : كشاف اصطلاحات الفنون ، الهيئـــة المصريـــة العامة للكتاب ، عام ١٩٦٣م .

١٣-الجرجانى ، التعريفات ، القاهرة ، عام ١٩٣٨م .

١٤-الجيلانى (عبد القادر) :فتوح الغيب ، القاهرة ، عام ١٩٧٣م .

١٥-الجيلى (عبد الكريم) : الإنسان الكامل ، القاهرة ، عام ١٣١٦هـــ.

١٦-خير الدين الزركلى : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان ، عام ١٩٨٦م.

١٧-الرازى (محمد بن ابى بكر) : مختار الصحاح ، القاهرة ، عام ١٩٦٣م.

١٨-السلمى (ابو عبد الرحمن) ، طبقات الصوفية ، مطابع الشعب ، القاهرة ، عام ١٣٨٠هـ.

١٩-السهروردى البغدادى، عوارف المعارف ، القاهرة ، عام ١٩٥٦ م .

٢٠-الشعرانى (عبد الوهاب) : الطبقات الكبرى، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢١-الشعرانى (عبد الوهاب) : الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٢-الشرنوبى (عبد المجيد) : شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى ، القاهرة ، عام ١٩٥٨م .

٢٣-الشرقاوى (عبد الله) : شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى ، القاهرة ، عام ١٩٧٠م

٢٤-الشهرستانى ،الملل والنحل ، القاهرة ، عام ١٩٦١ م .

٢٥-الطوسى (ابو نصر السراج) : اللمع فى التصوف ، القاهرة ، عام ١٩٦٠م .

٢٦-عمر رضا كحالة ،معجم المؤلفين ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، بدون تاريخ.

٢٧-الغزالى (أبو حامد) : إحياء علوم الدين ، القاهرة، عام ١٩٥٦م .

٢٨- القاشانى (كمال الدين عبد الرزاق) ، اصطلاحات الصوفية ، القاهرة ، عام ١٩٨١م.

٢٩- القشيرى (عبد الكريم بن هوازن) : لطائف الإشارات ، القاهرة ، عام ١٩٧٠ م.

٣٠- القشيرى (عبد الكريم بن هوازن) : الرسالة القشيرية ، القاهرة ، عام ١٩٥٩م .

٣١-الكمشخانوى (أحمد ضياء الدين) : جامع الأصول ، القاهرة ، عام ١٣٢٨م .

٣٢-يوسف إلياس سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

ب ـ المراجع فى اللغة الإنجليزية :

33- Elmar o' Brien : Varieties of Mystic Experience , London, 1965.

34-James (W.) : The varieties of religious experience, London, 1935 .

35- Russll (B.) : Mysticism and logic, New york, 1957 .

36-Thouless (R.) : An Intrduction to the psychology of religion , Cambridge, 1928 .

37-Underhill (E.) : Mysticism, A study in the Nature and Development of Man's spirtual consciousness, London, 1949.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة